النصّ القرآني والأحرف السبعة
- دراسة فى تاريخ القرآن الكريم -

د / زينب عبد السلام أبو الفضل (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد

فمن سنن الله الكونية التى لا تتبدل ولا تتغير: سنة التدافع الفكرى بين أهل الحق وأهل الباطل: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ (الأنعام ١١٢).

فإثارة الشبهات والأراجيف حول كل نبى مرسل وكتابه السماوى من قبل أهل الباطل، ونشاط كل نبى ومعه أهل الحق فى مواجهة ما يثار من أراجيف، هذه سنة

(*) مدرس الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة طنطا.

من سنن الله التى لم تتخلف عن نبى مرسل، ولا كتاب منزل قط .

وفى تاريخ الرسالات السماوية، لم ينشط أهل الباطل فى مواجهة نبى من الأنبياء قدر ما نشطوا فى مواجهة نبينا محمد ﷺ، وكتابه الخالد : القرآن الكريم .

وما كان دأب القرآن أبداً التغافل عما يثيره أعداؤه من شبهات حوله، وإنما كان يقف موقف المتتبع لهذه الشبهات، المفند لها واحدة تلو الأخرى.

بل إن القرآن كثيراً ما كان يباغت خصومه فيبدؤهم بطلب تقديم الحجة والبرهان والعلم على ما يزعمون: ﴿ **قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ** ﴾ (الأنعام ١٤٨)، ﴿ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (البقرة ١١١).

وهذا المنهج القرآنى: تتبع الشبهات، واستنطاق أهلها الدليل والحجة، هو سبيل أهل الحق فى كل زمان ومكان، وفى المقابل: فإن تجاهل ما يثيره الخصم من حجج قوية أو ضعيفة، ومصادرة حريته فى أن ينطق بما يختلج فى صدره حقاً كان أو باطلاً... هذا المنهج هو سبيل المستبدين، أو العاجزين الذين يفتقدون المنطق أو الدليل، وتعوزهم الحجة فيلجئون إلى مصادرة الحريات تارة، وإلى الهروب من المواجهة تارة أخرى، على نحو ما حكى القرآن الكريم :

﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ . فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (فصلت ٢٦، ٢٧).

ومنذ طور الدعوة الأول فى مكة، والتشكيك فى القرآن قائم من ناحية وثاقة مصدره الإلهى، بل إن هذا السبيل لا يزال من أقوى السبل التى يسلكها أعداء القرآن لصرف الناس عن الإيمان به، ككتاب سماوي منزّل من عند الله سبحانه وتعالى .

ومع أن القرآن الكريم قد تكفّل بالردّ على هؤلاء فى أكثر من موضع بالمنطق العقلي الدامغ:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل ١٠٣).

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (الفرقان ٥، ٦).

مع هذا المنطق العقلي الدامغ الذى حفلت به آيات القرآن الكريم، إلا أن أعداء القرآن – لا سيما فى عصرنا – لا يفتأون يثيرون الشبهة نفسها، ولكن ليس بهذه السذاجة التى انتهجها السفهاء من أهل مكة فى بداوتهم (إنما يعلمه بشر – أساطير الأولين اكتتبها)... لقد شكك هؤلاء فى النص القرآنى كله من ناحية وثاقة نقله من رسول الله ﷺ إلى أمته على حالته التى أنزل عليها من عند الله، كما شككوا فى اللفظة القرآنية نفسها من ناحية ثبوت مصدرها الإلهى، بعد أن فسروا حديث الأحرف السبعة تفسيراً يخدم هدفهم الخبيث الذى يتمثل فى محاولة نزع القداسة عن اللفظة القرآنية؛ حتى يتعامل المسلمون مع كتابهم كما يتعاملون مع أيّ نص تاريخي آخر، يقبل النقد والطعن فيما يسوقه من أخبار وتشريعات .

ومع المحاولات التى بذلت من قبل علماء الأمة فى تقديم الإجابة عن كثير من التساؤلات والقضايا التى يثيرها حديث الأحرف السبعة برواياته المتعددة، إلا أن هذه المحاولات لم تكن فى نظرى بحجم التساؤلات والقضايا المثارة، ولعل السبب فى هذا يرجع إلى أن البحث فى هذا الموضوع، تكتنفه الكثير من المزالق العقدية؛ ومن ثم آثر كثير من العلماء منطق التحفظ فى المعالجة؛ خشية أن يزل الفكر فى

منطقة نسأل الله العصمة من الزلل فيها؛ لذا ظلت هناك بعض الفجوات التى نجح الفكر الاستشراقى فى اختراقها والنفاذ خلالها؛ لإثارة الكثير من الشكوك حول ألوهية النص القرآنى الكريم.

لذلك كله: كان اختيارى لهذا الموضوع: **النص القرآنى والأحرف السبعة – دراسة فى تاريخ القرآن الكريم** – عسى أن يهتدى البحث إلى حقيقة من الحقائق تدمغ شبهة من الشبهات، أو تجيب عن تساؤل لما يُجبْ عنه البحث العلمى بعد .

هذا. وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة: فى أهمية البحث وسبب اختياره .

الفصل الأول فى: النص القرآنى .

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول فى: تعريف النص والقرآن الكريم .

المبحث الثانى فى: كيفية انتقال النص القرآنى إلينا بالتواتر .

المبحث الثالث فى: ترتيب الآيات والسور هل هو توقيفى؟

المبحث الرابع فى: الجمع الأول للمصحف (الجمع البكرى).

المبحث الخامس فى: الجمع الثانى للمصحف (الجمع العثمانى).

الفصل الثانى: الأحرف السبعة.

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول: معنى الحرف .

المبحث الثانى: روايات الحديث .

المبحث الثالث: اتجاهات الأقدمين فى تحديد المراد من الأحرف السبعة.

المبحث الرابع: الأحرف السبعة هل هى رخصة أم عزيمة ؟

المبحث الخامس: هل المجموع فى المصحف هو جميع الأحرف السبعة؟

المبحث السادس: الأحرف السبعة والقراءات السبع .

الخاتمـــة: فى نتائج الدراسة .

* * *

الفصل الأول
(النص القرآنى)

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول فى: تعريف النص والقرآن الكريم .

المبحث الثانى فى: كيفية انتقال النص القرآنى إلينا بالتواتر .

المبحث الثالث فى: ترتيب الآيات والسور هل هو توقيفى ؟

المبحث الرابع فى: الجمع الأول للمصحف (الجمع البكرى) .

المبحث الخامس فى: الجمع الثانى للمصحف (الجمع الثمانى).

المبحث الأول: فى تعريف النص والقرآن الكريم

أولاً: تعريف النص :

أ- فى اللغة:

يطلق لفظ (النص) فى اللغة على معان عديدة، فـ(النص): أقصى الشيء وغايته، ونص الشيء أظهره، وكل ما أظهر فقد نص، ومنه منصة العروس لأنها تظهر عليها، و(النص): هو الإسناد إلى الرئيس الأكبر، و(النص): التوقيف،

والتعيين على شيء ما، و(النص) : استخراج الرأى وإظهاره[١].

ب- فى الاصطلاح :

جاء تعريف النص اصطلاحاً مرتكزاً على المعنى اللغوى، ولكنه يختلف باختلاف موضوع العلم الذى يتعامل مع النص .

فعند الفقهاء : نص القرآن ونص السنة : مادل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام[٢].

وعند الأصوليين، اختلف فى تعريفه، فقال بعضهم : (النص) ما يقابل الإجماع والقياس، فهو بذلك يشمل الكتاب والسنة[٣].

والنص عند الغزالى : هو ما لا يتطرق إليه احتمال أصلاً، كالعدد خمسة؛ فإنه نص فى معناه لا يحتمل الستة ولا الأربعة، ولا سائر الأعداد[٤].

وهذا المعنى يرتكز على أحد معانى النص لغة وهو : التعيين على شيء ما .

أما بالنظر إلى موضوع هذه الدراسة، فيكون المعنى بالنص هنا : عين ألفاظ القرآن الكريم؛ حيث إن هذه الدراسة تعنى بالنص القرآنى من ناحية ثبوت مصدره الإلهى، ووثاقة نقله فى الأمة، وهذا المعنى يرتكز أيضاً على أحد معانى (النص) لغة، وهو التعيين على شيء ما، والتوقيف .

ثانياً : تعريف القرآن :

أ- فى اللغة :

اختلف فى أصل لفظ القرآن لغة، فذهب بعض المحققين من العلماء إلى أن هذا

(١) راجع : لسان العرب، ابن منظور، (نصص) ٨/ ٥٧٥ ، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ٢٠٠٣م.

(٢) راجع : اللسان ٥/ ٥٧٦ .

(٣) راجع : أصول الفقه، الشيخ : محمد زهير ٤/ ٦٥، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، دت، وتذكير الناس بما يحتاجون إليه من القياس أد : محمد الحفناوى، ص٢٠٥، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٥م .

(٤) راجع : المستصفى، الغزالى ١/ ٣٨٥، دار صادر، بيروت، دت .

اللفظ (القرآن) اسم غير منقول وضع علماً على الكلام المنزل على رسول الله ﷺ؛ لما تفرد به من خصائص الإعجاز .

وقد نقل هذا القول عن الشافعى رحمه الله.

بينما ذهب فريق آخر من العلماء إلى أن لفظ القرآن مشتق، ثم إنهم اختلفوا فى أصل اشتقاقه على أقوال، منها: أنه مشتق من القرائن، جمع قرينة؛ لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، وبه قال الفراء رحمه الله، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، وذلك لقران السور والآيات فيه، وهو قول الأشعرى رحمه الله؛ أو أنه مشتق من لفظ (القرء) بمعنى: الجمع؛ لجمعه السور بعضها إلى بعض، وهذا هو قول الزجاج رحمه الله، وقول آخر: أن القرآن مصدر - قرأ- بمعنى تلا، وسمى به المقروء، من تسمية المفعول بالمصدر(١).

وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدرى فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾(٢)، أى: قراءته، وهذا هو قول اللحيانى(٣) رحمه الله .

---

(١) راجع هذه الأقوال فى: الصحاح، الجوهرى (قرأ) ١/ ٦٤، ط: ١٩٨٢ دن، ولسان العرب، ابن منظور (قرأ) ٧/ ٢٨٣، ٢٨٤، ومفاتيح الغيب، الرازى٥/ ٩٢ دار الفكر، بيروت ط (٣) ١٩٨٥م، وتهذيب الأسماء واللغات، النووى ٣/ ٨٣، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، والبرهان فى علوم القرآن، الزركشى ١/ ٢٧٧، ٢٧٨، دار المعرفة، بيروت، دت، وفتح البيان فى مقاصد القرآن، القنوجى البخارى ١/ ٣٦٧، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١٩٩٢م. ودراسات حول القرآن الكريم، أد. إسماعيل الطحان ص١١، ١٢، مكتبة الأقصى، قطر، ط (٢) ١٩٩٤م.

(٢) القيامة (١٧)، (١٨).

(٣) هو: عبد الله بن محمد الإمام أبو الحسين التميمى، المعروف بابن اللحيانى، أخذ القراءات عن أبى الحسن شريح، وأبى العباس بن عيسون، بقى إلى حدود الثمانين وخمسمائة .

راجع: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام شمس الدين الذهبى ٣/ ١٠٧٨، استانبول، ط (١) ١٩٩٥م .

ب- فى الاصطلاح:

من العلماء من أوجز فى تعريف القرآن الكريم فعرفه بوصفين فقط، كالإنزال من السماء والإعجاز(١)، أو عرفه بثلاثة أوصاف، كالإنزال من السماء، والكتابة بين دفتى المصحف، والنقل المتواتر(٢)، ومنهم من جاء تعريفه جامعاً مانعاً حيث ضمنه الخصائص العظمى للقرآن الكريم، والتى لاتطلق بمجموعها إلا عليه، على نحو ما جاء فى هذا التعريف: القرآن: (هو الكلام المعجز، المنزل على رسول الله ﷺ، المكتوب فى المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"(٣).

فخرج بوصف المنزل على سيدنا محمد ﷺ، سائر الكتب المنزلة على غيره من الأنبياء والمرسلين، وخرج بوصف (المعجز)؛ و(المتعبد بتلاوته): الأحاديث القدسية على القول بأن لفظها من عند الله، فإنها ليست معجزة، ولا متعبداً بتلاوتها .

وخرج بوصف: المكتوب فى المصاحف، المنقول بالتواتر: جميع ماسوى القرآن من القراءات غير المتواترة، أو الشاذة(٤).

المبحث الثانى: فى كيفية انتقال النص القرآنى إلينا بالتواتر

فى تعريف العلماء للقرآن ذكروا صفة التواتر، والخبر المتواتر: هو كل خبر بلغت

---

(١) على نحو ما جاء فى تعريف تقى الدين السبكى وابن الحاجب رحمهما الله: القرآن: هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه .

راجع: الإبهاج شرح المنهاج ١/ ١١٩، مطبعة التوفيق الأدبية، القاهرة، دت، وشرح العضد على مختصر ابن الحاجب ٢/١٨، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٣م.

(٢) على نحو ما جاء فى تعريف الشوكانى: القرآن: هو الكلام المنزل على رسول الله ﷺ، المكتوب فى المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً .

راجع: إرشاد الفحول، الشوكانى ١/ ١٤١، دار الكتبى، ط (١) ١٩٩٢م .

(٣) راجع: مناهل العرفان، الزرقانى ١/ ١٧، دار الحديث، القاهرة ط (١) ٢٠٠١م.

(٤) راجع: القراءات أحكامها ومصدرها، أد: شعبان إسماعيل ص١١، دار السلام، القاهرة ط: ١٩٨٦م .

رواته فى الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطأهم على الكذب(١).

فالنص القرآنى الموجود بين أيدينا الآن، لم ينقل إلينا آحاداً، يعنى: فرداً عن فرد، أو اثنين عن اثنين أو أكثر من ذلك، وإنما جاءنا عن طريق التواتر؛ جمع غفير عن جمع غفير فى كل طبقة من الطبقات، بحيث تحيل العادة تواطأ هذا الجمع فى كل طبقة على الكذب.

ولإثبات هذه الحقيقة، سوف أعرض على عجالة لتاريخية انتقال النص القرآنى - الموجود بين دفتى المصحف - من رسول الله ﷺ إلى صحابته، ومنهم رضوان الله عليهم إلى الأمة.

ويمكننا فى هذا أن نميز بين طريقين انتقل بهما النص القرآنى إلينا بالتواتر، وهما: التلقى الشفاهى، والتدوين.

أولاً: التلقى الشفاهى:

لقد ورد ما يدل على أن النص القرآنى قد تواتر نقله شفاهاً من رسول الله ﷺ إلى صحابته، ومنهم إلى الأمة بطريقة العرض المباشر، وشفاهاً بغير عرض، كما فى التفصيل التالى:

١- تواتر انتقال النص القرآنى شفاهاً بطريقة العرض المباشر:

طريقة العرض المباشر هى أقوى طرق انتقال النص القرآنى فى الأمة جيلاً عن جيل، وطبقة عن طبقة، وتبدأ بطبقة الصحابة الذين عرضوا القرآن مباشرة على رسول الله ﷺ.

و(العرض) هنا معناه: أن يقرأ الصحابى أمام النبى ﷺ عن ظهر قلب ما سبق وأن وعاه عنه ﷺ فى المجلس نفسه، أو فى مجلس قبله؛ ليوقفه على حاله حفظاً

(١) راجع: نهاية السول، الإسنوى ٢/ ٢١٥، صبيح، القاهرة، دت.

وصحة قراءة(١).

وهذا العرض يسبقه (الإقراء)، وهو أن يقرئ النبى ﷺ الصحابى ما أنزله الله عليه؛ أى: يجعله يقرؤه، بأن يقرأ النبى أولاً على الصحابي، فيعيه الصحابي، ثم يقرأ على رسول الله ﷺ ما تلى عليه مطابقاً لما سمعه(٢).

وبالتأمل فى معنيين الإقراء والعرض، يتضح أن كلاً منهما يستلزم الآخر؛ فالعرض يسبقه الإقراء، والإقراء يتبعه العرض وهكذا.

ومن النصوص التى تثبت انتقال النص القرآنى من رسول الله ﷺ إلى صحابته بهذه الطريقة (العرض المباشر) ما يلى:

– روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة النبى ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره(٣) فى الصلاة، فانتظرته حتى سلم فلببته(٤)، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ أقوده فقلت: يا رسول الله: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها،

---

(١) راجع: جمال القراء، السخاوى ٢ / ٤٤٦، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط (١) ١٩٨٧م، ووثاقة نقل النص القرآنى من رسول الله ﷺ إلى أمته، أد: محمد حسن جبل ص١٦، دار الصحابة، طنطا، دت.

(٢) راجع: وثاقة نقل النص القرآنى ص١٧.

(٣) قوله: (أساوره)– بالسين المهملة– أى آخذ برأسه. قاله الجرجانى، وقال غيره: أواثبه وأقاتله.

راجع: النهاية فى غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (سور) ٢ / ٤٢٠، عيسى الحلبى، القاهرة، دت. وفتح البارى، ابن حجر ١٩ / ٢٩، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٨م.

(٤) قوله: (فلببته)– بفتح اللام وموحدتين الأولى مشددة والثانية ساكنة – أى جمعت عليه ثيابه عند لبته لئلا يتفلت منى. يقال: لببت الرجل ولببته إذا جعلت فى عنقه ثوباً أو غيره وجررته به.

راجع: النهاية (لبب) ٤ /٢٢٣، وفتح البارى ١٩ / ٣٠.

وإنك أقرأتنى سورة الفرقان، فقال: يا هشام: اقرأها، فقرأها القراءة التى سمعت، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأتها التى أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه(١).

فمحل الشاهد فى هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ أقرأ كلاً من عمر ابن الخطاب، وهشام بن حكيم سورة الفرقان كاملة، فحفظاها عنه ﷺ عن ظهر قلب، يؤكد ذلك: أن هشام بن حكيم حين قرأ السورة أمام رسول الله ﷺ لم تختلف قراءته لها عن تلك التى قرأها أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى المرة الأولى، وهذا يؤكد حفظه رضي الله عنه للسورة حفظاً دقيقاً محكماً عن ظهر قلب، ولو كان قد قرأ بخلاف ما قرأ أمام عمر رضي الله عنه لرده عمر وسجل عليه مخالفته، وكذا الحال بالنسبة لعمر رضي الله عنه حين قرأ السورة كاملة أمام النبى ﷺ، إذ لمْ تذكرْ الرواية أنه ﷺ ردّه فى حرف منها.

كما أن قول عمر رضي الله عنه عن هشام بن حكيم (فإذا هو يقرؤها على حروف لم يقرئنيها رسول الله ﷺ) يؤكد أن رسول الله ﷺ هو الذى تولى إقراء عمر وهشام رضى الله عنهما بنفسه ﷺ، بالمعنى الذى تقدم توضيحه.

وهناك من الروايات الصحاح ما يفيد أن رسول الله ﷺ كان يطلب من بعض صحابته رضوان الله عليهم أن يعرضوا عليه ﷺ ما منّ الله عليهم بحفظه من القرآن، كما روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ: اقرأ عليّ، فقلت يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: نعم، قال: فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ**

(١) أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن، باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حديث رقم (٤٩٩١)، وفى باب (من لم ير باساً أن يقول سورة البقرة، وسورة كذا وكذا) حديث رقم (٥٠٤١).

أمَّة بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾[١] قال: حسبك الآن، فالتفت فإذا عيناه تذرفان)[٢].

وقد حصر شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨) أهل طبقة العرض المباشر على رسول الله ﷺ من الصحابة فى سبع بعد أن اشترط فيهم ثلاثة شروط أساسية.

أولها: أن يثبت أن هؤلاء الصحابة قد أخذوا القرآن عن النبى ﷺ بالعرض المباشر عليه ﷺ.

الثانى: أن يأخذ عن هؤلاء الصحابة من بعدهم القرآن عرضاً عليهم، كما عرضوه هم على رسول الله ﷺ.

الثالث: أن يكون هؤلاء الصحابة قد دارت عليهم الأسانيد بالقراءات العشر التى تلقتها الأمة بالقبول، أى انتهت إليهم أسانيد هذه القراءات ورواياتها[٣].

وقد استدرك الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل على الذهبى، فبلغ بالصحابة الذين يتوفر فيهم ما اشترطه الذهبى ثلاثة عشر صحابياً، قال: وهذا العدد يجعل طبقة العرض المباشر على رسول الله ﷺ التى هى أعلى الطبقات - تزيد عن الحد الأدنى من العدد الذى يتحقق به التواتر[٤].

---

(١) النساء (٤١).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (فضائل القرآن)، باب: (قول المقرئ للقارئ حسبك)، حديث رقم (٥٠٥٠)، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين، باب (فضل استماع القرآن) حديث رقم (٨٠٠).

(٣) راجع: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبى ١ / ١٠٢-١٢٥ . ووثاقة نقل النص القرآنى ص٢٣ .

(٤) راجع: وثاقة نقل النص القرآنى ص٥١ .

وبالتأمل فى تلك الشروط التى وضعها الذهبى يتضح لنا سبب قلة عدد الصحابة عنده من أهل هذه الطبقة حتى حصرهم فى سبع، فالذهبى على سبيل المثال لم يدرج أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فى أهل هذه الطبقة- وهما من هما من رسول الله ﷺ؛ لأنه لم يثبت عنده توافر الشروط الثلاثة التى اشترطها فى أهل هذه الطبقة مجتمعة فيهم، ولكنه لم ينكر عليهما رضى الله عنهما جمعهما للقرآن فى عهد رسول الله ﷺ، وكذا الحال بالنسبة لغيرهما من الصحابة، قال: وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة - يعنى: غير السبعة من أهل الطبقة الأولى - ولكن لم تتصل بنا قراءتهم (معرفة القراء الكبار ص١٢٦).

أما الطبقة التى تلى هذه الطبقة، الطبقة الثانية: فهى طبقة الصحابة والتابعين الذين عرض كل واحد منهم القرآن أو أكثره على واحد أو أكثر من أهل الطبقة الأولى، وعليهم دارت أسانيد القراءات العشر التى اعتمدتها الأمة، فهؤلاء بلغ بهم الذهبى خمسة عشر(١)، واستدرك عليه الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، فبلغوا عنده تسعة وعشرين، أكثرهم من التابعين، مع الالتزام بالضابط المذكور الذى وضعه الذهبى فى أهل هذه الطبقة(٢).

ولم يقف الذهبى بالتأريخ للقراء الذين أخذوا القرآن عن سابقيهم عرضاً عليهم عند أهل هذه الطبقة – الطبقة الثانية – ولكنه تسلسل بهم حتى بلغ الطبقة الثامنة عشرة، فى بداية القرن الثامن الهجرى – وهو القرن الذى توفى فيه رحمه الله – فبلغ عدد قراء تلك الطبقات التى أرّخ لها أربعة وثلاثين وسبع مائة قارئ، مع تعيين من تلقى عنه كل قارئ قراءته عرضاً(٣).

ولا يزال الحال هكذا فى الأمة، يتواتر فيها انتقال النص القرآني بطريقة العرض المباشر جيلاً عن جيل، وطبقة عن طبقة، كما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، تلقياً عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالى.

هذا عن أقوى طرق انتقال النص القرآنى شفاهاً، وهى طريقة العرض المباشر فى عهده ﷺ وبعده، وهى تثبت تواتر انتقال النص القرآنى بأسانيد متصلة موثقة.

(١) راجع: معرفة القراء الكبار ص١٢٧– ١٥٨، ولم ينكر الذهبى أن هناك غير هؤلاء المذكورين – من الصحابة والتابعين – ممن يمكن إدراجهم فى أهل هذه الطبقة، ولكنه لم يذكرهم؛ لأنه لم تتصل بنا أسانيدهم، وقد نص على ذلك فى ص (١٥٨).

(٢) راجع: وثاقة نقل النص القرآنى ص(٦٠)، مع ملاحظة أن الذين أوردهم المصنف عن الذهبى من أهل هذه الطبقة اثنا عشر فقط والمذكور فى معرفة القراء الكبار خمسة عشر.

ومن الذين أسقطهم المصنف وهو ينقل عن الذهبى ثم استدركهم عليه: عبيد بن نضلة الخزاعى، وَرّ بن حبيش الكوفى، ومسروق بن الأجدع، فهؤلاء الثلاثة نص عليهم الذهبى فى أهل هذه الطبقة.

(٣) راجع هذه الطبقات وأسانيدها فى (معرفة القراء الكبار) فالكتاب كله مخصص لذلك، وانظر: وثاقة النص القرآنى ص٢٣.

٢) تواتر انتقال النص القرآنى شفاهاً بغير عرض:

وهذه كانت وسيلته ﷺ الأساسية لتبليغ القرآن للأمة، ولها طرق عديدة، منها: إسماعه ﷺ القرآن لمن يحضر مجلسه، وقراءته على من يدعوهم إلى الإسلام، وقراءته ﷺ على الناس فى المسجد، وفى الصلاة الجهرية، وفى خطبه، وفى مجالس القوم...)[١]، وقد استفاضت بذلك الأخبار والأحاديث الصحاح، وكلها مبسوطة فى كتب السنة.

وقد أسفرت هذه الطريقة عن ثلاثة أمور، **الأول**: ذيوع وانتشار القرآن الكريم فى عصره ﷺ وبعده؛ حيث اقتفى الصحابة رضوان الله عليهم أثر رسول الله فى طريقة تبليغه للنص القرآنى، حتى انتشر بانتشارهم فى القرى والأمصار، يقرءونه على الناس فى المساجد، وفى الصلوات، والخطب، وفى مجالس القوم وتجمعاتهم، وكذا كان الحال فى عصر التابعين ومن تبعهم بإحسان حتى تحول كل جامع – حافظ – للقرآن أو بعضه، أو أى جزء من أجزائه إلى مركز بث للقرآن الكريم، ولا يزال هذا هو حال القراء فى هذه الأمة إلى يومنا هذا، حتى تكونت فى كل مصر وقطر طبقة تتصل قراءتها بالذين قرءوا على رسول الله ﷺ.

الثانى: كثرة حفاظ القرآن الكريم فى عهده ﷺ وبعده، ويشهد لذلك: ما ثبت فى الصحيح: أن عدد الذين استشهدوا من القراء فى موقعة بئر معونة فى حياة النبى ﷺ كانوا قد بلغوا السبعين[٢]، هذا بالإضافة إلى الذين استشهدوا فى

---

(١) راجع: وثاقة النص القرآنى ص٧١– ٨٣ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (المغازى)، باب (غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة) حديث رقم (٤٠٩٠).

هذا: وقد كانت هذه الموقعة فى صفر سنة أربع من الهجرة.

راجع: السيرة النبوية، ابن هشام ٣/ ١٥٢، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٦ والبداية والنهاية، ابن كثير ٤/ ٧٣، دار الحديث، القاهرة ط (١) ١٩٩٢م.

حرب مسيلمة باليمامة[١] والذين أوصل بعض المؤرخين عددهم إلى خمسمائة، كما أشار إلى ذلك ابن كثير[٢].

ولا يتعارض هذا مع ما ثبت فى البخارى من حديث أنس رضي الله عنه وقد سئل عمن جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ فقال: (أربعة، كلهم من الأنصار، أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد)[٣].

وروى عنه رضي الله عنه أيضاً: (مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد)[٤].

فهذان الحديثان أجاب عنهما العلماء بكثير من الأجوبة، أوردها ابن حجر فى فتح البارى[٥]، كما ساق عدداً من الروايات التى تثبت أن عدد الحفظة من الصحابة كانوا أكثر من ذلك، ثم ينتهى إلى القول باحتمال أن يكون أنس رضي الله عنه قد أراد بهذا الحصر إثبات ذلك للخزرج – قبيلة أنس رضي الله عنه دون الأوس فقط، قال: فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم.

الثالث: الضبط الدقيق لآيات النص القرآنى الكريم: فقراءة النبى ﷺ على صحابته على هذه الصورة (فى الصلاة الجهرية، وفى الخطب، ومجالس القوم... إلخ) من شأنها أن تثبت القرآن فى صدور الحفظة من الصحابة، وأن يصل حفظهم للنص القرآنى إلى أعلى درجات الضبط والإتقان، حتى ولو كان الأمر يتصل بزيادة

(١) ابتدأت حروب اليمامة فى أواخر سنة إحدى عشرة من الهجرة، وانتهت سنة اثنتى عشرة، بعد أن فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه. وتعتبر اليمامة من منطقة نجد.

راجع: معجم البلدان، ياقوت الحموى ٥/ ٥٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٩٠م والبداية والنهاية ٦/ ٣١٩.

(٢) راجع: فضائل القرآن ص١٧ مكتبة الصحابة، طنطا، دت.

(٣) أخرجه البخارى فى (فضائل القرآن)، باب: (القراء من أصحاب النبى ﷺ)، رقم (٥٠٠٣).

(٤) أخرجه البخارى فى الموضع السابق رقم (٥٠٠٤).

(٥) راجع: ١٩/ ٦١.

حرف أو نقصانه، كما يدل على ذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه قرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾(١) برفع الأنصار، ولم يلحق الواو فى (الذين)، فقال له زيد بن ثابت: (والذين اتبعوهم بإحسان)، فقال عمر: (الذين اتبعوهم بإحسان)، ثم قال عمر: ائتونى بأبى بن كعب، فأتاه، فسأله عن ذلك فقال أبى: (والذين اتبعوهم بإحسان)، فقال عمر: إذا نتابع أبياً(٢).

وهكذا تواتر انتقال النص القرآنى شفاهاً عن النبى ﷺ عرضاً وبغير عرض إلى صحابته، ومنهم إلى الأمة، بما يضمن سلامته من أى شائبة تحريف أو زيادة أو إسقاط؛ لتعذّر اجتماع هذا الجمع الوفير، فى كل طبقة من الطبقات على إقرار شىء من ذلك .

ثانياً: التدوين :

لم تكن عنايته ﷺ بهذه الطريقة فى حفظ النص القرآنى بأقل من سابقتها – النقل الشفاهى – فتذكر المصادر أنه كان لرسول ﷺ كتبة يكتبون عنه الوحى منذ بداية تنزّله فى مكة، وهم ثلاثة وأربعون كاتباً، أشهرهم: الخلفاء الأربعة، وأبو سفيان، وابناه: معاوية ويزيد، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن رواحة، وأبى بن كعب، وعبد الله بن أبى السرح(٣)، وكان أول من كتب لرسول الله ﷺ الوحى فى مكة.

وكان ألزمهم للنبى ﷺ، وأكثرهم كتابة له: زيد بن ثابت، وعلى ابن أبى

---

(١) التوبة (١٠٠) .

(٢) ذكره الطبرى فى جامع البيان ٦/ ٤٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٩٢م.

(٣) هو: عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى، كان والياً على الصعيد فى زمن عمر رضي الله عنه، ثم ضم إليه عثمان مصر كلها، وكان محموداً فى ولايته، مات رضى الله عنه رضي الله عنه سنة ٥٩هـ.
راجع: الإصابة فى تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر ٢/ ٣١٦، دار صادر، بيروت ط (١) ١٣٢٨هـ.

طالب رضى الله عنهما(١).

وهناك العديد من الروايات التى تثبت تدوين الوحى كتابة عن رسول الله ﷺ منها:

روى البخارى عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾(٢) قال النبى ﷺ: (ادع لى زيداً، وليجئ باللوح والدواة والكتف(٣)، أو الكتف والدواة)، ثم قال: (اكتب: لا يستوى القاعدون)(٤).

وفى قصة إسلام عمر بن الخطاب ما يؤكد توثيق النبى ﷺ للوحى كتابة منذ طور الدعوة الأول فى مكة، حيث إنه رضى الله عنه لما بلغه أن أخته وزوجها قد دخلا فى الإسلام - توجه إليهما، فوجدهما يقرآن فى سورة طه من كتاب عندهما، فطلبه منهما فأبت أخته إلا أن يتوضأ، فقام وتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأه، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ يعلن إسلامه(٥).

فما كان ينزل من وحي، كان يتم تدوينه أولاً بأول فى صحائف متفرقة، وبين يدى رسول الله ﷺ، كما تثبت رواية البخارى عن البراء ابن عازب رضي الله عنه.

وعلى هذا فإن رسول الله ﷺ كما يقول القاضى أبو بكر الباقلانى- هو الذى

(١) راجع: تاريخ القرآن، الزنجانى ص٢٠، مؤسسة الحلبى، القاهرة، دت.

(٢) النساء: (٩٥).

(٣) الكتف: عظم عريض يكون فى أصل كتف الحيوان من الناس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم.

راجع: النهاية٤/ ١٥٠، واللسان ٧/ ٥٩٣ (كتف).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن، باب (كاتب النبى) رضي الله عنه حديث رقم (٤٩٩٠).

(٥) راجع هذه القصة بتفاصيلها فى الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣/ ١٨٥، ١٨٦، النشرتى، دت.

سن جمع القرآن وكتابته، وأمر بذلك وأملاه على كتبته[١].

أما المادة التى كان يكتب عليها الوحى بين يدى رسول الله ﷺ فهى العسب[٢]، واللخاف[٣]، والرقاع[٤]، وكانت تطلق عليها الصحف، وأحياناً كان يكتب فى الحرير، وقطع الأديم[٥] على عادة العرب فى ذلك .

وقد ظل الوحى مدوناً فى هذه الصحائف المتفرقة المكتوبة بين يديه ﷺ، طيلة حياته ﷺ إلى أن تم جمعه فى مصحف واحد فى عهد أبى بكر، ثم فى عهد عثمان رضى الله عنهما، فتواتر انتقاله إلينا تدويناً، كما تواتر انتقاله إلينا شفاهاً .

المبحث الثالث : فى ترتيب الآيات والسور هل هو توقيفى؟

فى كتب السنة تدل كثير من الأحاديث على أن رسول الله ﷺ حين كان يملى الوحى على كتبته، كان يوقفهم على ترتيب الآيات وموضع كل آية فى سورتها، فقد روى ابن عباس وغيره عن عثمان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان، وهو تنزل عليه السورة ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشىء، دعا بعض من كان يكتب، فيقول (ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا)[٦].

---

(١) راجع: الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلانى ١ / ١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ٢٠٠٤م .

(٢) العسيب : جريدة النخل إذا نحى عنه خوصه .

راجع: النهاية فى غريب الحديث ٣ / ٢٣٤، ولسان العرب ٦ / ٢٤١ (عسب).

(٣) اللخاف – جمع لخفة – حجارة بيض رقاق .

راجع النهاية (لخف) ٤ / ٢٤٤ .

(٤) الرقاع – جمع رقعة – وهى من الجلد، أو الورق، أو نحوهما .

راجع: تحفة الأحوذى، المباركفورى ٨ / ٤٣٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

(٥) الأديم : الجلد .

لسان العرب (أدم) ١ / ١٠٣ .

(٦) أخرجه أحمد فى المسند برقم (٣٩٩، ٤٩٩).

وأخرج أحمد عن عثمان بن أبى العاص، قال: كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: (أتانى جبريل، فأمرنى أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾[2].

ومن هنا قال السيوطى: الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهة فى ذلك، ثم ساق عدداً كبيراً من النصوص تؤكد رأيه، منها: تلك الرواية التى رواها أحمد عن عثمان بن أبى العاص، وما رواه البخارى عن الزبير قال: قلت لعثمان ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾[3] قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: ياابن أخى: لا أغير شيئاً منه من مكانه[4].

ومنها ما رواه مسلم عن أبى الدرداء مرفوعاً: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)[5]، وفى لفظ: (من قرأ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال)[6].

قال: ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً، ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة، كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والأعراف، وقد أفلح، والروم،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند بإسناد حسن. رقم (١٧٨٤٢)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد، كتاب التفسير برقم (١١١٢٠) وقال: رواه أحمد وإسناده حسن.

(٢) النحل (٩٠).

(٣) البقرة (٢٤٠).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم) حديث رقم (٤٥٣٠).

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين، باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسى) حديث رقم (٨٠٩)، وأبو داود فى كتاب الملاحم، باب (خروج الدجال) حديث رقم (٤٣٢٣)، وأحمد فى المسند. حديث رقم (٢١٦٠٩).

(٦) أخرجه أحمد فى المسند بإسناد صحيح، رقم (٢٧٣٨٩).

والنجم، واقتربت، وق ... فى سور شتى من المفصل تدل قراءته ﷺ لها بمشهد من الصحابة على أن ترتيب آيها توقيفى، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبى ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر .

ثم نقل السيوطى ما يؤيد مذهبه عن بعض العلماء منهم: مكى ابن أبى طالب، والبغوى وغيرهما(١).

هذا عن ترتيب الآيات، أما ترتيب السور، فقد ذكر السيوطى أن العلماء اختلفوا فيه على فريقين، فالجمهور على أن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، ومنهم: مالك، والقاضى أبو بكر الباقلانى فى أحد قوليه، قال: ومما استدل به لذلك: اختلاف مصاحف بعض السلف فى ترتيب السور، وأن عثمان رضي الله عنه أمر كتاب المصاحف أن يتابعوا الطول، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة فى السبع الطوال، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم .

بينما ذهب بعض العلماء إلى أن ترتيب السور توقيفى كترتيب الآيات.

وقد ساق السيوطى عدداً كبيراً من الروايات التى استدل بها أصحاب هذا القول، منها: (اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران)(٢)، و(أعطيت مكان التوراة السبع الطوال)(٣).

وما روى عن ابن مسعود أنه قال فى بنى إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: (إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادى)(٤)، فذكرها نسقاً كما استقر

---

(١) راجع: الإتقان، السيوطى ١ / ١٩٤– ١٩٦، دار الحديث، القاهرة، ط ٢٠٠٤م، وانظر: شرح السنة، البغوى ٤ / ٥٢٢، ت: شعيب الأرناؤوط، دن، دت.

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين، باب (فضل قراءة القرآن وسورة البقرة) حديث رقم (٨٠٤).

(٣) أخرجه أحمد فى المسند بإسناد حسن. رقم (١٦٩١٩).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب (تفسير القرآن)، باب – (١) سورة بنى إسرائيل– حديث رقم (٤٧٠٨). هذا: والعتاق والتلاد: القديم. والمعنى أن هذه السور أنزلت أولاً بمكة المكرمة، وأنها من أول ما تعلمه من القرآن. راجع: النهاية (تلد) ١ / ١٩٤، و(عتق) ٣ / ١٧٩ .

ترتيبها. ثم قال: ومما يدل على أن ترتيب السور توقيفى: كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بـ(طس) مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً: لرتبت المسبحات ولاء، وأخرت طس عن القصص... ولا ينبغى أن يستدل بقراءته ﷺ سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته ﷺ النساء قبل آل عمران؛ لأن ترتيب السور فى القراءة ليس بواجب، فلعله فعل ذلك لبيان الجواز[1] اهـ.

وهذا الرأى هو الراجح فى نظرى فى مقابل رأى الجمهور لعدة أسباب:

السبب الأول: قوة الأدلة التى أوردها السيوطى عن أصحاب هذا الرأى، ووجاهة ما علل به رحمه الله لاختياره لقولهم.

السبب الثانى: أن اختلاف ترتيب السور داخل مصاحف بعض الصحابة الذى استدل به الجمهول لقولهم، لا يتعارض فى رأيى مع القول بتوقيف ترتيب سور القرآن؛ لاحتمال أن يكون هذا الترتيب من الصحابى كانت له أسبابه الخاصة، فعلي رضي الله عنه كان ترتيب مصحفه على حسب نزول الآيات، فأوله اقرأ، ثم المدثر، ثم ق، ثم المزمل، وأما عبد الله بن مسعود فكان مصحفه مبدوءاً بالبقرة ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأعراف، ثم الأنعام، ثم المائدة، ثم يونس، وترتيب مصحف أبي: الحمد، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائدة، ثم يونس[2]، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن ابن مسعود وأبيّ رضى الله عنهما، كان كل منها يرتب السور داخل مصحفه عَلى حسب حفظه للسورة، أو جمعه لها كاملة.

(١) راجع: الإتقان ١/ ١٩٧- ٢٠٠ بتصرف.

(٢) راجع: الإتقان ١/ ٢٠٢، ٢٠٣، ومناهل العرفان ١/ ٢٩٧.

وأياً كان الأمر: فإن مما يشهد لصحة الرأى الذى رجحته: أن هؤلاء الصحابة الثلاثة الذين اشتهروا بمصاحف خاصة بهم على ترتيب خاص، ورويت عنهم بعض القراءات المخالفة للرسم العثمانى، هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم: لم يخرجوا عن إجماع المسلمين حين أجمعوا على مصحف عثمان، وإليهم جميعاً تنتهى أسانيد بعض القراء السبعة المشهورين .

فإلى على رضي الله عنه ينتهى سند أربعة من السبعة وهم: أبو عمرو بن العلاء، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وإلى ابن مسعود ينتهى سند قراءة عاصم، وحمزة، والكسائى، وإلى أبيّ بن كعب ينتهى سند قراءة نافع، وابن كثير، وأبى عمرو بن العلاء، وعاصم، وحمزة، والكسائى. بل إن أبياً رضي الله عنه كان أحد المشتركين فى إملاء مصحف عثمان وكتابته(١).

وهكذا فإن ما وصلنا عن هؤلاء الصحابة من قراءات مخالفة للرسم العثمانى، فإن الرسم العثمانى هو الذى يكون حاكماً على هذه القراءات المخالفة، ما داموا هم رضى الله عنهم لم يخرجوا عن الإجماع على هذا الرسم، وكذا الحال بالنسبة لترتيب السور؛ ما دام لم يرد عن أحد منهم أنه أنكر هذا الترتيب الذى استقر عليه إجماع المسلمين .

السبب الثالث: أن ما استدل به الجمهور من فعل عثمان رضي الله عنه، حين جعل التوبة والأنفال فى السبع الطوال، ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم؛ مما يؤكد أن ترتيب السور اجتهادى – حسب رأيهم – .

أقول: نعم ما فعله عثمان رضي الله عنه بشأن الأنفال وبراءة كان باجتهاد منه رضي الله عنه، ولكن هذا الاجتهاد كان له دافعه وعلته كما فى هذا الخبر الذى

---

(١) راجع: تاريخ القرآن، أد: عبد الصبور شاهين، وقد أجاد تحقيق القول فى هذه القضية من ص١٦٤– ١٨٥، دار نهضة مصر، القاهرة، ط (٢) ٢٠٠٦م.

روى عنه رضي الله عنه وقد سأله ابن عباس رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى[1]، وإلى براءة وهى من المئين[2]، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر البسملة، ووضعتموها فى السبع الطوال، ما حملكم على هذا؟ قال عثمان رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يأتى عليه الزمان، وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: (ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا)، وإذا نزلت عليه الآية يقول: (ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا) وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وظننت أنها منها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، أو من غيرها، من أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب البسملة، ووضعتها فى السبع الطوال[3].

فهذا التفصيل من عثمان رضي الله عنه بشأن اجتهاده فى وضع هاتين السورتين – الأنفال وبراءة – فى هذا الموضع وعلى هذه الصورة، يؤكد أن هذا الأمر لم يحدث لغيرهما من سور القرآن؛ خاصة وأنه ذكر العلة التى كانت وراء اجتهاده رضي الله عنه .

وقبل ذلك: فإن سؤال ابن عباس رضي الله عنه لعثمان عن العلة التى حملته على هذا الاجتهاد؛ تأكيد آخر بأن ما وقع لهاتين السورتين بشأن الاجتهاد فى ترتيبهما، لم يقع لغيرهما من سور القرآن.

(١) المثانى هى السورة التى آيها أقل من مائة، لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطول. وقيل: لتثنية الأمثال فيها بالعبر .

راجع: الإتقان فى علوم القرآن ١ / ٢٠٠ .

(٢) المئون: كل سورة تزيد على مائة آية. (المرجع السابق) .

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة، باب (من جهر بها) أى الفاتحة حديث رقم (٧٨٦)، والترمذى فى كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة التوبة) رقم (٣٠٨٦) وقال: حديث حسن صحيح .

وبذا يترجح القول بتوقيف ترتيب السور داخل المصحف الشريف لتبطل بذلك حجج أصحاب الأباطيل والمشككين من المستشرقين وأتباعهم، فى توقيف ترتيب آيات القرآن وسوره، كمدخل من مداخلهم الخبيثة للطعن فى تواتر وصول النص القرآنى إلينا كاملاً، على صورته التى هو عليها الآن، والمجموعة بين دفتى المصحف، عن رسول الله ﷺ(١).

ولكن كيف تم جمع القرآن فى المصحف على حالته الآن؟

لقد تم هذا على مرحلتين، أولاهما فى عهد أبى بكر، والثانية فى عهد عثمان رضى الله عنهما، وهذا هو موضوع المبحثين التاليين .

المبحث الرابع: فى الجمع الأول للمصحف (الجمع البكرى)

تقدم أن رسول الله ﷺ هو الذى سنّ جمع القرآن وكتابته(٢)، وأنه ﷺ توفى والقرآن كله كان قد جمع بين يديه ﷺ، ولكن فى صحائف متفرقة غير مجموعة فى سفر واحد، مرتب الآيات كما أجمع على ذلك العلماء(٣).

وقد ظل الحال هكذا إلى أن جَدّ فى عهد أبى بكر رضي الله عنه ما أدى بالصحابة – رضوان الله عليهم – إلى أن ينشطوا إلى ضم ما تفرق من آى القرآن فى مصحف واحد، وتفصيل ذلك فى الرواية التالية:

(١) فنولدكه على سبيل المثال يرى أن الاعتقاد بأن ترتيب الآيات والسور توقيفى، ذا أصل سماوى، اعتقاد خرافى لا يتمتع بسند تاريخى، ثم ذهب هو ولفيف آخر من المستشرقين يحاولون ترتيب سور القرآن حسب وجهات نظر تتعلق – كما يزعمون – بالترتيب التاريخى، أو الصيغة، أو المادة (إن كانت وعظية، أو قصصية، أو تشريعية...)، أو غير ذلك، وقد أفصح نولدكه عن هدفه من وراء هذه الفرية – بعد أن نفى عن القرآن ترتيبه السماوى – بقوله: (من المشكوك فيه أن يكون محمد قد أمر منذ البدء بتدوين كل ما أنزل عليه من الكتاب السماوى؛ إذ من المحتمل أن يكون فى السنوات الأولى من رسالته؛ حيث لم يكن له بعد أتباع، أن يكون قد نسى بعضاً مما أنزل عليه قبل أن يطلع عليه أحداً، وأن يكون صحابته قد حفظوا البعض الآخر فى الذاكرة). راجع: تاريخ القرآن ص٤٢، ٦٦– ٦٨، بيروت، ط (١) ٢٠٠٤م.

(٢) راجع ص (٢٢).

(٣) راجع ص (٢٤).

روى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد، قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف[1] وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى، لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصه بنت عمر رضي الله عنه[2].

فهذا الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، يضع أيدينا على جملة من الحقائق، تختص بعملية جمع القرآن فى هذه المرحلة، أبرزها ما يلى:

١- سبب الجمع:

فقول أبى بكر لزيد: (إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن...) يوضح سبب إقدام أبى بكر رضي الله عنه على هذه المهمة بعد إشارة

(١) العسب واللخاف تقدم معناهما فى هامش (١)، (٢) ص(٢٣).

(٢) أخرجه البخارى فى (فضائل القرآن)، باب: (جمع القرآن) رقم (٤٩٨٦).

من عمر رضي الله عنه .

ويوضح ما دار من حوار بين عمر وأبى بكر أولاً، ثم بين أبى بكر وزيد ثانياً: شدة ورع الصحابة رضوان الله عليهم وخشيتهم من الإقدام على أمر لم يفعله رسول الله ﷺ، ولكن حين تراءت المصلحة بادية أمامهم فى هذا العمل، لم يتوانوا قط فى العمل بها، وهى ما عبر عنها نولدكة بالحاجة؛ حيث يرى أن الحاجة التى كانت سوف تنشأ عاجلاً أو آجلاً بعد موت النبى ﷺ، هى التى أدت بالصحابة إلى جمع الوحى فى تدوين موثوق(١).

وأياً كان الأمر فإن ما أشار به عمر رضي الله عنه من جمع القرآن كان – على حد تعبير الأستاذ الدكتور محمد بلتاجى – من أعظم المصالح التى تحققت لأجيال المسلمين، إن لم تكن أعظمها جميعاً(٢).

٢- تاريخ الجمع :

ابتدأ هذا الجمع – كما أشار الحديث – إثر موقعة اليمامة – التى ابتدأت حروبها فى أواخر السنة الحادية عشرة من الهجرة، وهى نفس السنة التى توفى فيها ﷺ، فبينها وبين وفاة رسول الله ﷺ شهور معدودة؛ مما يزيد من وثاقة عملية الجمع ووثاقة المادة المجموعة من العسب واللخاف وصدور الرجال، كما ذكر الحديث(٣) .

---

(١) راجع: تاريخ القرآن ص٢٥٦، وهذا التفسير وإن كنت أوافق الأستاذ نولدكه عليه، لكنى لا أوافقه على كثير من المغالطات التى أتى بها فى هذا السياق، كنفيه وجود علاقة سببية بين موقعة اليمامة وفكرة الجمع، وادعائه بأن هذه العلاقة غير تاريخية، وأن فكرة الجمع تعود إلى أسباب تتعلق بالدولة، وكذا لا أوافقه على نفيه عن عمر رضي الله عنه تحريك الهمم لجمع القرآن، فزيد رضي الله عنه فى رأيه هو الذى قام بهذا العمل من تلقاء نفسه غير مدفوع من أحد، لا أوافقه على آرائه هذه؛ لأن رواية البخارى التى سبق وأن أثبتها فى الصلب لا تتوافق مع كل هذه الآراء .

(٢) راجع: منهج عمر بن الخطاب فى التشريع، أد/ محمد بلتاجى ص٣١٢، دار السلام، القاهرة ط (١) ٢٠٠٢م .

(٣) راجع ص (٣١)

٣- الصفات التى أهلت زيداً للقيام بهذه المهمة :

لقد أجمل الحافظ ابن حجر هذه الصفات – بالاستناد إلى وصف أبى بكر لزيد رضى الله عنهما كما جاء فى الحديث – حيث قال ابن حجر: ذكر له – أى أبو بكر رضي الله عنه أربع صفات مقتضية خصوصيته –أى زيد– بذلك: كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحى فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التى اجتمعت له، قد توجد فى غيره لكن مفرقة اهـ(١).

هذا بالإضافة إلى أنه رضي الله عنه كانت له الصدارة فى القضاء، والفتوى والقراءة، والفرائض(٢)، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه حين مات: (اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل فى ابن عباس منه خلفاً)(٣). وهذا ما يفسر قول أبى بكر: (إنك شاب عاقل...).

ومما يشهد لتوقّد ذهن زيد رضي الله عنه وشدة ذكائه، وقوة حفظه، ما روى عنه رضي الله عنه أنه قال: أتى بى إلى النبى ﷺ مقدمه المدينة، فقيل: هذا من بنى النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك، فقال: (تعلم لى كتاب يهود، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى) ففعلت، فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له(٤).

كما تعلم رضى الله عنه السريانية، فقد روى عنه أنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: (أتحسن السريانية؟) قلت: لا. قال: (فتعلمها)، فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً(٥).

---

(١) راجع: فتح البارى ١٩/ ١٤.
(٢) راجع: الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر ١/ ٥٦٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) حديث صحيح: أخرجه أحمد فى المسند، برقم (٢١٥١٠).
(٥) حديث صحيح: أخرجه أحمد فى المسند برقم (٢١٤٧٩).

وبالإضافة إلى كل ما سبق: فإن أعظم ما تميز به زيد رضي الله عنه على غيره من الصحابة رضوان الله عليهم – فيما يتصل باختصاصه بمهمة جمع القرآن – أنه رضي الله عنه كان قد شهد العرضة الأخيرة[١] التى عرضها جبريل على رسول الله ﷺ، وبيّن فيها: ما نسخ وما بقى .

فقد نقل البغوى فى شرح السنة عن أبى عبد الرحمن السلمى[٢] قال: قرأ زيد ابن ثابت على رسول الله ﷺ فى العام الذى توفى فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر فى جمعه، وولاه عثمان كتابة المصاحف، رضى الله عنهم أجمعين[٣]، وبذا يتضح لنا ثقل حجم زيد رضي الله عنه، الذى يتكافأ مع حجم المهمة التى كلف بها .

٤- اللجنة المنفذة لعملية جمع القرآن :

على رأس هذه اللجنة – صاحب خطة العمل – أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب، الذى كلفه أبو بكر رضي الله عنه بالاشتراك مع زيد فى تحمل مسئولية جمع القرآن وفق المنهج الذى حدده رضي الله عنه، ثم زيد رضي الله عنه المنفذ الفعلى لمنهج الجمع.

كما جاء فى بعض الروايات أن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، كان قد اشترك فى

---

(١) فقد كان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كل سنة، حتى كان العام الذى توفى فيه، فعارضه به مرتين، فقد جاء فى الصحيح عن فاطمة عليها السلام قالت: أسرّ إليّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى .

والحديث رواه البخارى فى كتاب (فضائل القرآن): باب: (كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ) .

(٢) هو: عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفى، مقرئ أهل الكوفة، من أبناء الصحابة، أخذ القراءة عرضاً عن عثمان وعلى، وابن مسعود، وزيد، وأبى بن كعب. توفى رحمه الله سنة ٧٤هـ وقيل سنة ٧٣هـ.

راجع: معرفة القراء للذهبى ١ / ١٤٦، وتقريب التهذيب لابن حجر ١ / ٤٠٨ .

(٣) راجع: شرح السنة ٤ / ٥٢٥، ٥٢٦، وانظر: البرهان للزركشى ١ / ٢٣٦ .

هذا الجمع البكرى بالإملاء[١].

وبذا يكون قد اجتمع فى هذه اللجنة: أبو بكر رضي الله عنه بغيرته المعروفة على الدين، وعمر رضي الله عنه بصرامته وعدم توانيه فى الحق، وزيد بما اجتمع فيه من صفات أهلته لهذا العمل لم تجتمع فى غيره – كما تقدم – وأبيّ بن كعب رضي الله عنه وهو أقرأ هذه الأمة كما أخبر رسول الله ﷺ[٢].

٥- الطريقة التى تم بها الجمع :

فقول زيد رضي الله عنه (... حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى، لم أجدهما مع أحد غيره...) هذا القول يدل على أنه رضي الله عنه كان لا يقبل من أحد شيئاً من القرآن إلا إذا شهد عليه أكثر من واحد، أى: شاهدان على الأقل وهذا المنهج كان بأمر من أبى بكر رضي الله عنه،

فقد أخرج ابن أبى داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه[٣]، أن أبا بكر قال لعمر وزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[٤].

وهذا الخبر ذكره أيضاً الحافظ ابن حجر فى الفتح وقال: رجاله ثقات مع انقطاعه، وكأن المراد بالشاهدين، الحفظ والكتاب، أو المراد: أنهما يشهدان على

(١) راجع: كتاب المصاحف، ابن أبى داود السجستانى ١/١٧٧، قطر، ط (٦) ١٩٩٥م، والرواية فيه عن أبى العالية أنهم جمعوا القرآن فى مصحف فى خلافة أبى بكر، فكان رجال يكتبون، ويملى عليهم أبيّ بن كعب...). وانظر: المرشد الوجيز، أبو شامة ص٦٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ٢٠٠٣.

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب (المناقب)، باب (مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبى، وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم..) وقال: حديث حسن صحيح. رقم: (٣٧٩١)، وأخرجه ابن ماجه فى (المقدمة)، باب (فى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ) حديث رقم (١٥٤).

(٣) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى، تابعى، من أئمة الحديث، ومن علماء المدينة المنورة، ولد وعاش فيها، توفى ببغداد سنة ١٤٦هـ.

راجع: الأعلام للزركلى ٨/ ٨٧.

(٤) راجع: كتاب المصاحف ١/ ١٦٩.

أن ذاك المكتوب كتب بين يدى رسول الله ﷺ، أو المراد: أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن، وكأن غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى رسول الله ﷺ(١).

ولذا رجح ابن حجر أن يكون المراد بقول زيد عن هاتين الآيتين اللتين وجدهما مع أبى خزيمة: (لم أجدهما مع غيره) رجح ابن حجر أن يكون المراد بالنفى نفى كونهما مكتوبتين لا محفوظتين، قال: لما تقدم من أن زيداً كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة، قال: ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبى ﷺ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاها بغير واسطة.... وفائدة التتبع المبالغة فى الاستظهار، والوقوف عند ما كتب بين يدى النبى ﷺ.

ثم نرى ابن حجر يسوق فى هذا السياق ثلاث روايات عن ابن أبى داود تؤكد صحة ما ذهب إليه، الأولى جاء فيها: أن خزيمة جاء بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة(٢) فقال: أشهد أنى سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما، فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتها، والثانية جاء فيها أن خزيمة قال: تلقيت من رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ إلى آخر السورة، فقال عثمان: (وأنا

(١) راجع: فتح البارى ١٩/ ١٦ .

(٢) يلاحظ – على حسب رواية البخارى – التى سبق سوقها فى ص (٣١)،(٣٢)أن الذى وجدت معه الآيتان من سورة براءة هو أبو خزيمة، على حين نسب ابن أبى داود ذلك إلى خزيمة، قال ابن حجر: والأرجح أن الذى وجد معه آخر سورة التوبة: أبو خزيمة بالكنية، و(أبو خزيمة)، قيل: هو ابن أوس بن يزيد بن أصرم، مشهور بكنيته، وقيل: هو الحارث بن خزيمة، وأما خزيمة فهو ابن ثابت ذو الشهادتين. راجع: فتح البارى ١٩/ ١٧ .

وهذا الذى رجحه ابن حجر، رجحه أيضاً أبو شامة فى المرشد الوجيز ص٦٠، وزاد: أن أبا خزيمة من بنى النجار، شهد بدراً وما بعدها، وتوفى فى خلافة عثمان، وأما خزيمة بن ثابت فهو من الأوس، شهد أحداً وما بعدها، وقتل يوم صفين اهـ.

وسيأتى أن خزيمة هذا هو الذى وجدت معه آيتان من سورة الأحزاب فى الجمع العثمانى للمصحف .

أشهد)، وجاء في الثالثة أن أبيّ بن كعب قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ... ﴾ إلى آخر السورة(١).

وبذا يكون قد اجتمع في هذه الآية: عمر وعثمان وأبو خزيمة وزيد ابن ثابت رضى الله عنهم أجمعين، كلهم تلقوها عن النبى ﷺ بغير واسطة، فضلاً عمن أخذها عن النبى ﷺ بواسطة أحد أصحابه رضى الله عنهم، فتحقق لها بذا التواتر كما تحقق لغيرها من آى الكتاب الكريم .

بل إن السيوطى يضيف قيداً آخر يخص منهج زيد فى استشهاد شاهدين على الآية الواحدة حين قال: أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته(٢).

وبذا يمكننا أن نُقرّ عدداً من الحقائق تختص بعملية جمع القرآن فى هذه المرحلة.

أولها: أن عمل زيد رضي الله عنه كما يقول الشيخ أبو زهرة – لم يكن كتابة مبتدأة للقرآن، ولكنه إعادة لمكتوب، فقد كتب القرآن كله فى عهد النبى ﷺ، وعمل زيد الابتدائى كان هو البحث عن الرقاع والعظام التى كتب عليها، والتأكد من سلامتها(٣).

وقد تم ذلك وفق منهج معين سبق بيانه .

ثانيها: أن عمل زيد رضي الله عنه، لم يكن عملاً آحادياً، بل كان عملاً جماعياً من مشيخة الصحابة؛ إذ جاء كل من عنده شيء من القرآن بما عنده، وتضافر من كانوا يعاونون زيداً رضي الله عنه، غير مدخرين فى ذلك جهداً، ولما أتم

(١) راجع: فتح البارى ١٢/ ١٧، ١٨، وانظر كتاب المصاحف ١/ ١٧٨، ١٨٢ ولم أعثر فيه على رواية عمر التى نسبها إليه ابن حجر .

(٢) راجع: الإتقان ص١٨٩ .

(٣) راجع: المعجزة الكبرى – القرآن – ، الشيخ أبو زهرة ص٣٣، دار الفكر، القاهرة، دت.

زيد ما كتب، تذاكره الناس، وتعرفوه وأقروه، فكان المكتوب متواتراً بالكتابة، ومتواتراً بالحفظ فى الصدور، وما تم هذا لكتاب فى الوجود غير القرآن(١).

ثالثها: أن هذا الجمع الزيديّ للمصحف قد تم وفق العرضة الأخيرة، لشهود زيد هذه العرضة.

وهذا يعنى أن هذا الجمع قد استبعد منه حتماً منسوخ التلاوة، وأنه كان مرتب الآيات والسور؛ إذ أن كليهما كان بتوقيف من النبى ﷺ كما سبق(٢).

رابعها: أن النص القرآنى فى هذا الجمع كتب برسم موافق للذى كتب بين يدى رسول الله ﷺ؛ إذ لم يرد إلينا مايدل على أن تغييراً ما قد تم فى هذا الرسم، بل إن المتتبع لعملية الجمع هذه؛ يجد أن الجهد فيها إنما كان ينصبّ على جمع الآيات المتفرقة المكتوبة بين يدى رسول الله ﷺ، بعد الاستيثاق منها- فى سفْر واحد يحفظها من الضياع، أو كما عبر الحارث المحاسبى(٣): كان هذا الجمع بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ، فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع وربطها بخيط؛ حتى لايضيع منها شيء(٤).

هذا بالإضافة إلى أن هذا الجمع البكرى للمصحف كانت تجتمع فيه عناصر التوثيق التالية :

- أن يكون المجموع مكتوباً بين يدى النبى ﷺ .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) راجع ص (٢٤)- (٢٩) .

(٣) هو: أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى، البصرى المولد، البغدادى المنزل والوفاة، أحد الزهاد، كان عديم النظير فى زمانه ورعاً وعلماً ومعاملة وحالاً، توفى رحمه الله سنة ٢٤٣هـ.

راجع: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى ٨/ ٢١١، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ودول الإسلام، الذهبى ١/ ١٤٧، قطر ١٩٨٨م .

(٤) هذا القول نقله عن الحارث السيوطى فى الإتقان ١/ ١٨٩؛ وانظر: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى، محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى ١/ ٨٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٩٥م.

– أن يكون المجموع محفوظاً متلقى عن النبى ﷺ مباشرة .

– أن يشهد شاهدان على الأمرين السابقين(١).

وبذا يكون هذا الجمع قد نُفذّ على وجهه كأدق ما يكون التنفيذ، وكأحسن ما يكون التحرّي والتثبت، حتى حوى جميع ضمانات الوثوق المطلق؛ ولذا حظى بإجماع الأمة، وأيده الصحابة دون نكير .

ثم أودعت الصحف التى جمع فيها القرآن – كما فى رواية البخارى – عند أبى بكر رضي الله عنه، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم أجمعين(٢)، حتى طلبها عثمان رضي الله عنه لينتسخ منها نسخاً إلى الأمصار– كما سيأتى .

المبحث الخامس: فى الجمع الثانى للمصحف (الجمع العثمانى)

بعد أن حفظ النص القرآنى كما أنزل من السماء فى صحف أبى بكر – على النحو الذى تقدم – جد ما استدعى الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى أن يتوج هذا الجهد الجليل من أبى بكر رضي الله عنه بجهد آخر لا يقل عنه شأناً؛ حتى يقضى على فتنة شعواء كادت تفتك بوحدة الأمة، على النحو الذى جاء فى هذا الحديث الذى رواه البخارى عن ابن شهاب، أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح إرمينية وأذربيجان(٣) مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة بن

(١) راجع: وثاقة نقل النص القرآنى ص١٧٩ .

(٢) راجع ص (٣٢).

(٣) (أرمينية) – بفتح الهمزة وقيل بكسرها – والنسبة إليها أرمنى وهى مدينة عظيمة معروفة من جهة بلاد الروم تشتمل على بلاد كثيرة، طيبة الماء والهواء، وأما (أذربيجان) – بفتح الهمزة وسكون الذال وفتح الراء– بلد كبير من نواحى جبال العراق، تلى أرمينية من جهة غربها .

راجع: معجم البلدان، ياقوت الحموى ١/ ١٩١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٩٠م، وفتح البارى ١٩/ ١٩، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المباركفورى ٨/ ٤٣٨ .

اليمان لعثمان: يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد ابن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة[١]: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا[٢].

وبالإضافة إلى حديث البخارى: وردت عدة روايات فى كتاب المصاحف تبين صور هذا الاختلاف الذى أجمله حديث حذيفة، من ذلك:

١- عن أبى قلابة[٣] قال: (لما كان فى خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب[٤]: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال: أنتم عندى تختلفون وتلحنون، فمن نأى عنى من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد،

---

(١) هم: سعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، الذين سبق ذكرهم فى الرواية، وقد نص على ذلك ابن حجر فى فتح البارى ١٢/ ٢٣ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (فضائل القرآن)، باب (جمع القرآن)، رقم (٤٩٨٧).

(٣) هو: عبد الله بن زيد بن عمرو أبو قلابة الجرمى، البصرى، أحد الأعلام، بصرى تابعى ثقة كثير الحديث، مات رحمه الله سنة ١٠٧هـ.

راجع: تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ١٤٨، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط(٢) ١٩٩٣م.

(٤) هو: أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى أبو بكر البصرى، ثقة صالح، روى عن أبى قلابة، وعمرو بن سلمة وغيرهما، والسختيانى – بفتح السين – نسبة إلى عمل السختيان وبيعه وهو جلود الضأن، توفى رحمه الله سنة ١٣١هـ.

راجع: تهذيب التهذيب ١/ ٢٥١ .

فاكتبوا للناس إماماً[١].

٢- ومن الروايات الواردة أيضاً: (... أن ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية، فإذا قرأها قال: فإني أكفر بهذه، ففشا ذلك في الناس واختلفوا في القرآن، فكلّم عثمان بن عفان في ذلك، فأمر بجمع المصاحف، فأحرقها، ثم بثها في الأجناد، يعني التي كتب)[٢].

٣- وفي رواية: (كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه: كفرت بما تقول فرفع ذلك لعثمان، فتعاظم ذلك في نفسه، فجمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وأرسل إلى الربعة[٣] التي كانت في بيت عمر فيها القرآن، فكان يتعاهدهم)[٤].

٤- وتدل رواية أخرى في كتاب المصاحف أيضاً، على أن هذا الاختلاف لم يكن في أصله راجعاً إلى اختلاف في النص القرآني نفسه، ولكنه كان خلافاً في وجوه الأداء القرآني، أو في قراءة النص القرآني، ونصها: أن عثمان رضي الله عنه قام في الناس فخطب فقال: (أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون: قراءة أبيّ، وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيىء بالورقة والأديم - الجلد - فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان، فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم، لسمعت رسول الله ﷺ، وهو أملاه عليك؟، فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس؟

---

(١) راجع: كتاب المصاحف ١/ ٢١١، ٢١٢، والرواية ذكرها الطبري في مقدمة تفسيره ١/ ٤٩، ٥٠ .

(٢) كتاب المصاحف١/ ٢١٥ .

(٣) الربعة: الشيء المربع الشكل كما في اللسان (ربع) ٤/ ٤٨ ويريد بذلك: مصحف أبي بكر رضي الله عنه الذي أودعه بيت عمر رضي الله عنه .

(٤) كتاب المصاحف ١/ ٢٢٠ .

قالوا: كاتب رسول الله ﷺ، زيد بن ثابت، قال: فأيّ الناس أعرب؟ قالوا سعيد بن العاص، قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها فى الناس)[١].

ويمكن أن يستفاد من هذه النصوص مجتمعة ما يلى :

١- سبب الجمع الثانى للمصحف :

ذكرت رواية البخارى أن ثمة اختلافاً كبيراً وقع بين الناس فى القرآن فى عهد عثمان رضي الله عنه؛ إلى درجة خشى معها حذيفة رضي الله عنه أن تختلف هذه الأمة فى كتابها اختلاف اليهود والنصارى؛ ومن ثم كان فزعه إلى عثمان رضي الله عنه بأن يدرك هذه الأمة، ولكن هذه الرواية لم تثبت لنا إلى أى مدى وصل هذا الاختلاف بالفعل، وفى أى شيء وقع، أفى النص القرآنى نفسه، أما ماذا؟

وقد أجابت الروايات التى ساقها ابن أبى داود فى المصاحف عن هذين التساؤلين، حين بينت أن الاختلاف قد وصل إلى حد التكفير، وهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه اختلاف بين أهل ملة واحدة، كما بينت أن هذا الاختلاف على الرغم من كبر حجمه لم يكن فى أصل القرآن، ولكن فى القراءات، أو فى وجوه الأداء القرآنى كما فى رواية أبى قلابة، وهذه الرواية الأخيرة التى ذكرت فيها خطبة عثمان رضي الله عنه.

وهنا قد يثار سؤال: ولم وقع هذا الاختلاف، وقد جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن فى مصحف واحد؟

والجواب: أن الغرض من الجمع البكرى كان يتمثل فى حفظ النص القرآنى كما أنزل خشية ضياعه بضياع الحفظة – كما مر – وهذا النص بقى محفوظاً فى بيته رضي الله عنه، ثم فى بيت عمر، ثم فى بيت حفصة رضى الله عنهما، ولم يكن

(١) راجع: كتاب المصاحف ١: ٢١٦، ٢١٧ .

متداولاً بين الناس، ولم يؤثر عن أبى بكر، أو عن عمر، أو عن عثمان، أن ألزم أى منهما الناس بقراءة القرآن وفق مصحف أبى بكر وكفى، فانطلق الناس يقرءون القرآن على وجوه متعددة رخص لهم بها رسول الله ﷺ كما سيأتى- فكانت هذه سبب الاختلاف، ومن ثم قصد عثمان إلى أن يجمع القرآن جمعاً ثانياً يضم ما صح من هذه القراءات عن النبى ﷺ، مع الاعتماد على صحف أبى بكر رضي الله عنه، التى حفظ فيها كيان النص القرآنى كما أنزل.

فعثمان رضي الله عنه فى جمعه للقرآن لم يكن قصده - كما يقول القاضى أبو بكر الباقلانى - قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمع الناس على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك[1]؛ كى يقضى على الفتنة التى ظهرت بوادرها آنذاك .

٢- تاريخ الجمع العثمانى للمصحف :

بالرجوع إلى رواية البخارى، نجد أن هذه الرواية لا تشير إلى تاريخ محدد للجمع، ولكنها وقّتته بحدثين: خلافة عثمان، وأحداث فتح أرمينية وأذربيجان .

وهذان الحدثان لا يحددان تاريخ الجمع بدقة، فخلافة عثمان رضي الله عنه امتدت من سنة ٢٣هـ - ٣٥هـ[2] وفتح أرمينية وأذربيجان استمر عدة سنوات، على خلاف بين أهل التاريخ فى تحديد عام دخول هذه البلاد[3].

ولكن الرواية التى وردت فى المصاحف فى خطبة عثمان أشارت إلى ما يمكن أن

(١) راجع: الانتصار للقرآن ١/ ١٨ .

(٢) راجع: الخلفاء الراشدون، أ: عبد الوهاب النجار ص٣٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت، دت .

(٣) لاخلاف بين المؤرخين على أن العرب دخلوا أرمينيا مرتين، أولاهما على عهد عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ، والثانية على عهد عثمان، وهذه اختلفوا فى سنة دخولها، فأكثرهم على أن ذلك كان فى عام ٢٦هـ، وهناك من قال فى عام ٢٤هـ، وقال الطبرى: فى عام ٣١هـ .

راجع: البداية والنهاية ٨/ ١٤١، والخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار ص٢٧٢، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

يستفاد منه تاريخ هذا الجمع العثمانى، أعنى بذلك قول عثمان: (أيها الناس: عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة...)[١] وفى رواية أخرى: (إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة...)[٢]، ومن ثم رجح ابن حجر – بحساب السنوات منذ وفاة النبى ﷺ، أن يكون الجمع العثمانى قد تم فى أواخر سنة أربع وعشرين، وأوائل سنة خمس وعشرين، قال: وهو الوقت الذى ذكر أهل التاريخ أن إرمينية فتحت فيه[٣] ثم قال: وغفل بعض من أدركنا فزعم أن ذلك كان فى حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً[٤]. اهـ وما ذهب إليه ابن حجر هو اجتهاد منه، والله أعلم بالصواب.

٣- لجنة الجمع :

أثبتت رواية البخارى أربعة من أعضاء هذه اللجنة هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٥]، بينما ذكرت رواية ابن أبى داود فى المصاحف فجمع – أى عثمان رضي الله عنه اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم زيد ابن ثابت، وأبيّ بن كعب[٦]، وقد جمع ابن حجر بين روايتى الأربعة والاثنى عشر بقوله: (وكأن ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد، ثم احتاجوا إلى من يساعد فى الكتابة، بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التى ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثم استظهروا بأبىّ فى

---

(١) راجع ص (٤٣).

(٢) راجع هذه الرواية فى كتاب المصاحف ١ / ٢١٧ .

(٣) ذكرت الخلاف فى تاريخ دخول هذه البلاد قبلاً .

(٤) راجع: فتح البارى ١٢ / ٢٠، وانظر: الإتقان ١ / ١٩١ .

(٥) راجع ص (٤١) .

(٦) راجع ص الرواية رقم (٣) ص(٤٣).

الإملاء)[1].

وبالتأمل فى الروايات الواردة بشأن أعضاء اللجنة المذكورين نجد أن الاختيار قد وقع على أعضاء هذه اللجنة بسبب مؤهلات معينة اختص بها هؤلاء الأعضاء، فزيد بن ثابت رضي الله عنه هو الذى قام بمهمة الجمع البكرى، وقد سبق أن سقت بعض ما اختص به رضي الله عنه مما أهله للقيام بهذه المهمة[2]، وأما سعيد بن العاص فهو أفصح الناس بإقرار من سألهم عثمان رضي الله عنه عن أفصحهم[3]، وأما أبي بن كعب فهو أقرأ هذه الأمة – كما ذكر رسول الله ﷺ[4].

(١) راجع: فتح البارى ١٩ / ٢٢، وفيه قال ابن حجر: ووقع من تسمية بقية من كتب أو أملى عند ابن أبى داود مفرقاً جماعة منهم: مالك بن أبى عامر، جد مالك بن أنس، ومنهم كثير بن أفلح، ومنهم أبى بن كعب، ومنهم أنس بن مالك، وعبد الله ابن عباس... فهؤلاء تسعة عرفنا تسميتهم من الاثنى عشر.

وبالرجوع إلى كتاب المصاحف (ص٢١٢-٢٢٢)، تبين أن الذين ورد ذكرهم عند ابن أبى داود من أعضاء لجنة الجمع العثمانى هم: الأربعة الذين ورد ذكرهم فى رواية البخارى، مضافاً إليهم أبى بن كعب، وكثير بن أفلح، ومالك بن أبى عامر، ومالك بن أنس، وقد عرفه ابن أبى داود بأنه جد مالك بن أنس، ولم أعثر فيه على ذكر لابن عباس، كعضو من أعضاء لجنة الجمع.

هذا وكثير بن أفلح – المدنى، هو أحد كتاب المصاحف التى كتبها عثمان رضي الله عنه، قال النسائى: ثقة، توفى عام ٦٣هـ. راجع: التاريخ الكبير للبخارى ١ / ٢٧، وتهذيب التهذيب ٤ / ٥٧٧.

وأما مالك بن أبى عامر، فهو جد الإمام مالك بن أنس – صاحب المذهب –، فقد ورد فى المصاحف ١ / ٢٢٢، عن الإمام مالك قال: كان جدى مالك بن أبى عامر ممن قرأ القرآن فى زمن عثمان، وكان يكتب المصاحف.

وأما مالك بن أنس، الذى عرفه ابن أبى داود بأنه جد مالك بن أنس، فيبدو أن هناك خطأ ما فى هذه النسبة، فجد الإمام مالك بن أنس هو مالك بن أبى عامر، وفقاً لرواية الإمام نفسه، ويبدو أن المعنى هنا: هو الصحابى الجليل: أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد ذكر الطبرى رحمه الله فى مقدمة تفسيره ١ / ٥٠ بأنه رضي الله عنه كان أحد أعضاء لجنة الجمع، حين روى عن أبى قلابة قال: حدثنى أنس ابن مالك قال: كنت فيمن يملى عليهم...).

وأقول: رحم الله الإمام ابن حجر، فقد صحح ما وقع فيه ابن أبى داود، ولكنه لم يصرح بذلك، ربما من باب التأدب.

(٢) راجع ص (٣٣)، (٣٤).

(٣) راجع ص (٤٣)

(٤) راجع ص (٣٦)، وهامشها رقم (١).

وقد علل القاضى أبو بكر الباقلانى لوجه اجتماع أبيّ وسعيد رضى الله عنهما فى الإملاء فى لجنة الجمع بقوله: (. . . ولا يمتنع أن يمله سعيد ويمله أبيّ أيضاً، فيحتاج إلى أبيّ لحفظه، وإحاطته علماً بوجوه القراءات المنزلة التى يجب إثباتها جميعها، وأن لا يطرح شيء منها، ويجب نصب سعيد بن العاص لموضع فصاحته وعلمه بوجوه الإعراب، وكونه أعربهم لساناً، وقد قيل: إن سعيداً كان أفصح الناس، وأشبههم لهجة برسول الله ﷺ[١]، وليس يجب أن تتعارض هذه الأخبار؛ لأنه لا يمتنع أن ينصب لإملائه قوم فصحاء، حفاظ يتظاهرون على ذلك، ويذكر بعضهم بعضاً، ويستدرك بعضهم ما لعله يسهو عنه غيره، وهذا من أحوط الأمور وأحزمها فى هذا الباب[٢] أ. هـ.

– ويضيف الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل إلى ما سبق من كلام الباقلانى، بأن قيمة فصاحة المملى تتبين فى نطقه الكلمات بحروفها، فلا تتآكل الكلمات، ولا تنطمس معالم الحروف باللفّ، والهذّ، أو ما إليهما، وبذا يكتب الكاتب الكلمة صحيحة. اهـ[٣].

فإذا أضيف إلى ذلك: ما تقدم ذكره من أن سعيد ابن العاص كان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ كما ذكر الباقلانى – تبين لنا سرّ هذا الاختيار الموفّق من قبل عثمان رضي الله عنه، فأكثر ما تختلف فيه القراءات يرجع إلى أسباب لهجية مما تختلف فيها القبائل، ومن ثم كان اختيار سعيد بمثابة الضابط الذى ينحسم به الخلاف؛ لكونه أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ.

وبذا جمعت هذه اللجنة بين أهل الخبرة بالوحى وكتابته، والحفظة المتقنين،

(١) فى كتاب المصاحف ١/ ٢١٨ عن سعيد بن عبد العزيز: أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص بن أمية؛ لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ.

(٢) راجع: المرشد الوجيز ص٦٩ .

(٣) راجع: وثاقة نقل النص القرآنى ص٢٠٦ .

وأهل الضبط والفصاحة؛ للوصول بالنص القرآنيّ إلى درجة الوثوق المطلق، كما أنزل من السماء، وقرئ بين يدى رسول الله ﷺ.

٤- الطريقة التى تم بها الجمع :

بالرجوع إلى رواية البخارى(١)، تذكر الرواية أن عثمان رضي الله عنه، كان قد أرسل إلى حفصة رضى الله عنها لتبعث إليه بنسخة أبى بكر رضي الله عنه، لينتسخ منها نسخاً للقرآن، ترسل إلى الأمصار لحسم الخلاف الذى نشب بين القراء حتى وصل إلى ما وصل إليه، على حين تذكر رواية كتاب المصاحف(٢): أن عثمان رضي الله عنه كان قد خطب فناشد الناس، من كان معه من كتاب الله شيء فليأت به، وقد كان؛ مما يوحى بأن جمعاً ثانياً قد حدث للمصحف فى عهد عثمان رضي الله عنه، ولم يكن الأمر مجرد انتساخ من صحف أبى بكر رضي الله عنه.

وقد وردت رواية أخرى عن عمارة بن غزية(٣) تؤيد ما جاء فى رواية خطبة عثمان، وأن جمعاً آخر للمصحف تم فى عهده رضي الله عنه، حيث نصّت هذه الرواية على أن عثمان رضي الله عنه بعد أن تمت كتابة المصحف ومراجعته، أرسل إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة - مصحف أبى بكر - قال الراوى: (فعرض المصحف عليها فلم يختلفا فى شيء، فردها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف...).

---

(١) راجع ص (٤١).

(٢) راجع الرواية رقم(٤) ص٤٣.

(٣) عمارة بن غزية - بفتح المعجمة وكسر الزاى وياء مشددة - بن الحارث الأنصارى، ثقة صالح كثير الحديث، ذكره ابن حبان فى (الثقات) فى أتباع التابعين، توفى رحمه الله سنة ١٤٠هـ.
راجع: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٥، وتقريب التهذيب ٢/ ٥١.
وراجع هذه الرواية فى الطبرى ١/ ٤٨، ٤٩.

وقد تناول العلماء هاتين الروايتين بالنقد سنداً ومتناً[١]، لينتهى الرأى ببعضهم (كأبى شامة، وأ د/ محمد حسن جبل، و أد: إسماعيل الطحان) إلى أن الجمع العثمانى كان بمثابة انتساخ من صحف أبى بكر، وليس جمعاً ثانياً للمصحف[٢].

على أن هناك رواية فى البخارى عن زيد بن ثابت قال: (فقدت آية الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٣] فألحقتها فى سورتها فى المصحف .

وقد سبق أن سقت رواية البخارى فى الجمع البكرى عن زيد رضي الله عنه وفيها (... حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى، لم أجدهما مع غيره...)، كما سقت تفريق ابن حجر بين أبى خزيمة وخزيمة[٤]، وأنه رضي الله عنه نص على أن الأول هو الذى وجدت معه الآيتان من سورة التوبة فى الجمع البكرى، والثانى هو الذى وجدت معه آية الأحزاب، وأن من جعل الآيتين فى الجمع البكرى وهم فى ذلك[٥].

ينبنى على ذلك – فى رأيى – أن جمعاً ثانياً للمصحف قد تم فى عهد عثمان رضي الله عنه، وأن هذا الجمع – كما يقول الشيخ أبو زهرة – اتبع فيه ماتبع فى الجمع الأول من البحث عن الآيات مكتوبة فى عهد النبى ﷺ، وأن يشهد اثنان

---

(١) راجع على سبيل المثال: المرشد الوجيز لأبى شامة ص٧٦، وفتح البارى ١٩/ ١٢، ٢٢، ووثاقة نقل النص القرآنى ص١٩٧– ٢٠٤ .

(٢) راجع: المرشد الوجيز ص٧٦، ووثاقة نقل النص القرآنى ص٢٠٤، ودراسات حول القرآن الكريم ص٦٩ .

(٣) الأحزاب (٢٣).

(٤) راجع هامش ص (٣٧).

(٥) راجع: فتح البارى ١٢/ ١٧، ٢٥ .

بكتابتها فى عصره ﷺ[1]. ولا يغيبن عن ذهننا أن الغرض العثمانى من جمع القرآن كان يتمثل فى ضبط وجوه الأداء القرآنى، وهو يختلف عن الغرض من الجمع البكرى – كما أسلفت – .

ومن الطبيعى أن تسبق عملية ضبط وجوه الأداء القرآنى، عملية ضبط النص القرآنى نفسه .

وهذا يعنى: أن استدعاء عثمان رضي الله عنه للصحف القرآنية من عند حفصة رضى الله عنها كان بهدف الاطمئنان لما جمعه، بمقابلته بصحف أبى بكر – وهو ما نصت عليه رواية عمارة بن غزية – بعد أن مرت عملية الجمع بما مرت به قبلاً فى عهد أبى بكر؛ كى يسير منهج الاستيثاق للنص القرآنى إلى أقصى مداه .

أما عملية ضبط وجوه الأداء القرآنى فلم تكن بالأمر الهيّن؛ إذ احتاجت إلى عدد من الإجراءات، أبرزها ما يلى:

الإجراء الأول: تتبع وجوه أداء النص القرآنى حسب ما قرأت على رسول الله ﷺ، ووفق العرضة الأخيرة، ومن ثم كان اختيار عثمان رضي الله عنه لسعيد بن العاص الذى هو أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ، وكان اختياره لزيد بن ثابت رضي الله عنه الذى شهد العرضة الأخيرة[2] وكان اختياره لأبيّ بن كعب رضي الله عنه أقرأ هذه الأمة، وكانت أيضاً مناشدته الناس من أهل القراءة وسؤاله: (. . . لسمعت هذا من رسول الله ﷺ) .

يؤكد هذا الذى ذهبت إليه هاتان الروايتان:

الأولى: رواها ابن أبى داود، من طريق محمد بن سيرين، عن كثير ابن أفلح[3] قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف، جمع له اثنى عشر رجلاً من

(١) راجع: المعجزة الكبرى ص٣٢ .

(٢) راجع: ص (٣٥).

(٣) تقدم ترجمته ص (٤٧).

قريش والأنصار، فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر، فجئ بها، وكان عثمان يتعاهدهم، إذا تدارءوا[١] فى شيء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير – وكان فيهم فيمن يكتب – هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظناً إنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبونه على قوله[٢].

وأما الرواية الثانية، فقد رواها الطبرى عن أبى قلابة عن أنس رضي الله عنه قال: كنت فيمن يملى عليهم – أى المصاحف – فربما اختلفوا فى الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ، ولعله أن يكون غائباً أو فى بعض البوادى، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، حتى يجئ أو يرسل إليه[٣].

الإجراء الثانى: كتابة النص القرآنى، وفق اللغة التى أنزل بها – لغة قريش– وهى اللغة التى كان يقرأ بها رسول الله ﷺ.

نعم لقد أذن رسول الله ﷺ لذوى الأعذار من أهل القبائل الأخرى بأن يقرءوا القرآن بلغاتهم – كما سيأتى – ولكن ما الضابط عند الاختلاف؟ لا شك أنه اللغة التى أنزل بها القرآن، وقرأ بها رسول الله ﷺ ومن ثم قال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين فى رواية البخارى: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم)[٤].

(١) قوله: (تدارءوا) أى اختلفوا. والمدارأة: المخالفة والمدافعة.
راجع: الصحاح (درأ) ١/ ٤٩ .

(٢) المصاحف ١/ ٢٢١، وانظر: الإتقان ١/ ١٩١، وتاريخ القرآن للزنجانى ص٤٤ .

(٣) راجع: تفسير الطبرى ١/ ٥٠ .

(٤) ورد هذا القول عن عثمان رضي الله عنه فى رواية البخارى التى تقدم نصها فى ص (٤١)، (٤٢) وبهذا الشأن ورد أيضاً أن عمر رضي الله عنه أنكر على ابن مسعود قراءته: (عتى حين)، فى قوله تعالى (حتى حين) المؤمنون (٥٤) وكتب إليه: (إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فاقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل).
والأثر عن عمر أخرجه ابن عبد البر كما ذكر ابن حجر فى الفتح ١٩/ ٣٢ .

وقد حدث ما توقعه عثمان رضي الله عنه، حين اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى كتابة كلمة (التابوت) من قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**... ﴾[1]، اختلف أعضاء اللجنة فى هذه الكلمة (التابوت) كيف تكتب؟ فقال النفر القرشيون (التابوت) – بالتاء – وقال زيد (التابوه) – بالهاء، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه – أى القرآن – نزل بلسان قريش[2].

فالاختلاف هنا ليس فى أصل الكلمة، ولكن فى رسمها، ثم حسم بقول عثمان رضي الله عنه.

الإجراء الثالث: مراجعة المكتوب، والاستيثاق منه:

على رأس المراجعين كان عثمان رضي الله عنه، كما نصت الرواية التى ساقها ابن أبى داود: (وكان عثمان يتعاهدهم...)[3].

وشيء آخر، وهو أن عثمان رضي الله عنه كان يمثل رأيه الرأى الحاسم، حين تأخذ الحيرة أعضاء اللجنة؛ لإثبات الرسم الصحيح للآية، كما فى الخبر السابق (التابوه) و(التابوت).

وكما جاء فى هذا الخبر الذى روى عن هانئ البربرى – مولى عثمان رضي الله عنه قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلنى بكتف شاة إلى أبيّ ابن كعب فيها (لم يتسن)، وفيها (لا تبديل للخلق)، وفيها (فأمهل الكافرين)، قال هانئ: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين، وكتب: (لخلق الله)[4]، ومحا

(١) البقرة رقم (٢٤٧).

(٢) أخرجه الترمذى فى كتاب (تفسير القرآن)، باب (ومن سورة التوبة) حديث رقم (٣١٠٤).

(٣) راجع الرواية رقم (٣) ص (٤٣).

(٤) الروم: (٣٠).

(فأمهل)، وكتب : (فمهل)[١]، وكتب : (لم يتسنه)[٢]، فألحق فيها الهاء[٣] فقول الراوى فى هذا الخبر – وهم يعرضون المصاحف – يدل على أنه كانت تجرى عملية مراجعة ومقابلة للمكتوب، ربما بينه وبين الأصل أى : صحف أبى بكر، أو بين النسخ المكتوبة وبعضها البعض، خشية وقوع خطأ أو سهو .

كما ينبئ هذا الخبر كسابقه عن قيمة رأى عثمان، وكيف أنه رضي الله عنه، كان يتحرى الدقة والتثبت الأكيد من النص بالاستعانة بمن يثق فى حفظه وضبطه؛ ومن ثم كانت استعانته بأبي بن كعب رضي الله عنه أقرأ هذه الأمة .

فإذا ما أضفنا إلى ذلك : أن عثمان رضي الله عنه كان قد حدد الأصل الذى يرجع إليه عند كتابة النص القرآنى، وهو صحف أبى بكر، واللغة التى يرجع إليها عند الاختلاف فى رسم الكلمات فى المصحف، وهى لغة قريش . . . إذا علمنا ذلك : تبين لنا مدى الدقة البالغة، والتثبت الذى بلغ أعلى درجاته؛ للوصول بالنص القرآنى إلى درجة الوثوق المطلق، وقد كان .

الإجراء الرابع : رسم المصحف بطريقة تحفظ وجوه الأداء الصحيح عن النبى ﷺ، وفق الشروط التى اشترطها عثمان رضي الله عنه فى جمع النص القرآنى .

وقد تأمل العلماء هذا الإجراء بعد مدارسة منهم لواقع رسم المصاحف، والواقع بلا شك أقوى دليل يمكن أن يعتمد عليه، فتوصلوا للآتى :

١– أن اللفظ القرآنى الذى لا تختلف فيه وجوه القراءات، كانوا يرسمونه بصورة واحدة فقط .

٢– أما اللفظ الذى يقرأ على أكثر من وجه، دون زيادة أو نقصان فى حروفه،

---

(١) الطارق : (١٧) .

(٢) البقرة : (٢٥٩) .

(٣) راجع : فضائل القرآن لأبى عبيد ص١٥٩ الأثر رقم (٤٩) .

أو الذى يحتمله الرسم بصورة واحدة تحتمل أوجه القراءات الواردة فيه، مثل (ننشرها) و(ننشزها)[١]، و(فتبينوا)[٢]، و(فتثبتوا) مثل هذا اللفظ كان يرسم بصورة واحدة فى جميع المصاحف وهو خال من النقط أو الشكل؛ ليحتمل كل أوجه القراءة الصحيحة فى الآية.

٣- وأما اللفظ الذى يقرأ على أكثر من وجه، بزيادة فى بعض حروفه أو نقصانها، ولايمكن رسمه فى الخط متحملاً لوجوه القراءات الواردة فيه، هذا اللفظ يكتب برسم يوافق بعض الوجوه فى مصحف، ثم يكتب برسم يوافق بعض الوجوه الأخرى فى مصحف آخر، نحو: (ووصى)[٣] و(أوصى)، ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾[٤]، و(تجرى من تحتها الأنهار) قال القرطبى: (... وكان عثمان كتب تلك المواضع فى بعض النسخ، ولم يكتبها فى بعض؛ إشعاراً بأن كل ذلك صحيح، وأن القراءة بكل منها جائزة)[٥].

وقال الزرقانى: وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين فى مصحف واحد؛ خشية أن يتوهم أن اللفظ نزل مكرراً بالوجهين فى قراءة واحدة[٦].

(١) آية (٣٥٩) من سورة البقرة وهذه هى قراءة عاصم، وحمزة والكسائى وخلف، وقرأ الباقون بالراء، والقراءتان متواترتان.

راجع: تقريب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ص٩٧.

(٢) آية (٦) من سورة الحجرات، وهذه هى قراءة حفص، وأبى جعفر وأبى عمرو، ويعقوب، وقرأ حمزة والكسائى وخلف (فتثبتوا) والقراءتان متواترتان.

راجع: تقريب النشر ص١٠٦.

(٣) آية (١٣٢) من سورة البقرة، وهذه هى قراءة حفص، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (وأوصى) والقراءتان متواترتان.

راجع: تقريب النشر لابن الجزرى ص٩٤.

(٤) آية (١٠٠) من سورة التوبة، وهذه هى قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير (تجرى من تحتها الأنهار) والقراءتان متواترتان.

راجع: تقريب النشر ص١٢١.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٧١.

(٦) راجع: مناهل العرفان ١/ ٢١٨. =

وبذا حفظ الرسم العثمانى وجوه الأداء الصحيح للنص القرآنى عن النبى ﷺ، وفق الشروط التى اشترطها عثمان رضي الله عنه فى جمع النص القرآنى الكريم .

الإجراء الخامس: إلزام عثمان رضى الله عنه الناس بالنسخة المجموعة، وإحراق ما عداها :

وكانت هذه هى الخطوة الأخيرة لحسم الاختلاف، وضبط وجوه الأداء القرآنى، فبعد أن بارك الصحابة رضوان الله عليهم هذا الجمع العثمانى، ولم ينكر عليه أحد(١)، انتسخ عثمان رضي الله عنه من هذا المصحف الإمام نسخاً، أكثر العلماء على أن عددها أربع، وقيل خمس، وقيل: سبع، وأرسل بها إلى الأمصار، وأبقى

= وقد ذهب أبو شامة (فى المرشد الوجيز ص١١٢) إلى أن ما اختلفت فيه المصاحف حذفاً وإثباتاً، محمول على أنه نزل بالأمرين، وأن النبى ﷺ أمر بكتابته على الصورتين لشخصين، أو فى مجلسين، أو أعلم بهما شخصاً واحداً، وأمره بإثباتهما. اهـ وهذا بعيد فى رأيى، ولو كان لورد إلينا يقيناً ما يدل على أنه قد تعددت تنزلات آى القرآن؛ إذ أن ذلك من الأمور التى يستبعد حدوثها، دون استفاضة ورود خبر بها فى الأمة .

(١) راجع: المصاحف ١ / ١٨٧، والبرهان للزركشى ١ / ٢٤٠ .

فالصحابة رضوان الله عليهم عدوا عمل عثمان فى جمع المصحف من مآثره رضي الله عنه،حتى قال على رضوان الله عليه :(لو لم يصنعه عثمان لصنعته) اهـ. الخبر فى المصاحف ١ / ١٨٦وبنحوه فى تفسير القرطبى١ / ٧٢ والبرهان للزركشى ١ / ٢٤٠، والنشر ١ / ٣٢ . ولم يعارض عثمان رضي الله عنه فى عمله هذا أحد سوى ما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، من أنه أمر الناس فى الكوفة بالتمسك بمصحفه قائلاً: (كيف تأمروننى أن أقرأ قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت من فى رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليأتى مع الغلمان له ذؤابتان، والله ما نزل وحى من القرآن، إلا وأنا أعلم فى أىّ شىء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله منى، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلغه الإبل، أعلم بكتاب الله منى لأتيته) . راجع هذا الخبر فى المصاحف ١ / ١٩٥ .

ويفسر الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين – وأوافقه الرأى – موقف ابن مسعود هذا على أنه موقف اتخذه لشبهة اعترته هى ظنه أن زيداً قد تفرّد بالعمل، ولما علم بعد ذلك أن زيداً لم يتفرّد بهذا العمل، ولكن شاركه فيه جمع من الصحابة، وأن المسلمين أجمعوا عليه، لما علم بذلك وافق اقتناعاً أولاً، وحفاظاً على وحدة الأمة ثانياً. اهـ تاريخ القرآن ص١٥٣ .

وأضيف إلى ذلك: ما سبق ذكره من أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ينتهى إليه سند ثلاث قراءات من السبعة هى، قراءة عاصم وحمزة والكسائى، وبذا يكون الإجماع قد تحقق من قبل الصحابة جميعاً على مصحف عثمان رضي الله عنه وانظر: ص(٢٧)، (٢٨) من هذا البحث .

بالمدينة واحداً[١]، وأرسل مع كل نسخة قارءاً، يعلم الناس – شفاهة وتلقيناً – كيفية الأداء الصحيح للنص القرآنى، حيث إن الكتابة وحدها لا تفى بذلك، وبخاصة تلك القراءات التى ترجع إلى أسباب لهجية.

وبعد ذلك: أمر عثمان رضي الله عنه بإحراق ماسوى مصحفه، أو تخريقه[٢] ووافقه على ذلك الصحابة رضوان الله عليهم[٣].

وبذا كان الرسم العثمانى سبباً فى حفظ وجوه القراءات الصحيحة الثابتة عن النبىﷺ بالرواية الشفهية أولاً، ولم يكن سبباً فى تعدد القراءات كما زعم جولد تسهر[٤] ومن نهج نهجه، ومن هنا وضع العلماء قاعدة حاسمة هى: (القراءة سنة متبعة، فإذا ثبتت فلا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها)[٥].

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن ١ / ٧١، والبرهان ١ / ٢٤٠ والدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد، سيف الدين الهروى ص٣٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠، وتاريخ القرآن وغرائب رسمه، محمد طاهر الكردى ص٧٤، مكتبة المعارف، الطائف، دت.

(٢) أكثر الروايات على الإحراق، وبعضها على التخريق، والبعض الآخر على المحو بمعنى الإزالة، ولا تعارض بين هذه الروايات؛ فالمهم هو إزالة المكتوب المخالف للمصحف الإمام الذى أجمع عليه الصحابة، وهذه الإزالة تختلف تبعاً لنوع المكتوب عليه، هل هو من الجلد أم من الحجارة أم من العظام، فالمهم هو تنفيذ القرار العثمانى؛ حتى يقضى على فتنة الاختلاف تماماً.

وانظر: المصاحف ١ /١٨٧، والمحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٤٨ قطر، ١٩٧٧، وتاريخ القرآن، محمد طاهر الكردى ص٣٧

(٣) لم يعارض فى قرار الحرق هذا سوى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما عارض فى عمل عثمان فى جمع المصحف، ولكنه رجع عن الأمرين معاً، كما سبق.

(٤) حيث ذهب إلى أن الرسم العثمانى حين جرد من النقط والشكل كان السبب الأول لظهور حركة الإعراب، أى إن الرسم فى زعمه كان أولاً، ثم إن الناس أعجموا وشكلوا حسب آرائهم وأهوائهم، فاختلفت القراءات لذلك.

راجع: مذاهب التفسير الإسلامى ص٨، وانظر: وثاقة نقل النص القرآنى ص(٩٦)، (٩٧) ففيه رد واف على جولد تسهر فى هذه النقطة.

(٥) راجع هذه القاعدة فى: المصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر، الإمام المبارك بن الحسن بن فتحان ١ / ١٢٧، دار الحديث، القاهرة، ط ٢٠٠٧.

وللعلماء كلام كثير حول الخط الذى كتب به المصحف العثمانى، هل هو اصطلاحى أم توقيفى، ولهم تعليلات كثيرة بشأن هذا الخط، ومحاولات لكشف أسراره، وما اشتمل عليه من بعض الظواهر .

ورسم المصحف علم له قوام مستقل، وقد نأى هذا البحث عن الخوض فيه لبعده عن طبيعته .

وفى النهاية: يمكننا أن نقرر عدداً من الحقائق تختص بالجمع العثمانى للمصحف:

الأولى: أن الغرض من الجمع العثمانى للمصحف كان يتمثل فى جمع الناس على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ؛ كى يقضى على الفتنة التى ظهرت آنذاك .

الثانية: أن الجمع العثمانى للمصحف لم يكن مجرد استنساخ من صحف أبى بكر، ولكنه كان جمعاً ثانياً، اتبعت فيه الخطوات نفسها التى اتبعت فى الجمع البكرى؛ للوصول بالنص القرآنى إلى درجة الوثوق المطلق.

الثالثة: أن هذا الجمع لم يكن عملاً آحادياً، بل كان عملاً جماعياً اختيرت له لجنة من أهل الخبرة بالوحى وكتابته، والحفظة المتقنين، وأهل الضبط والفصاحة، وعلى رأسها كان عثمان رضي الله عنه، الذى كان يمثل رأيه الرأى الحاسم عند الحيرة والاختلاف .

الرابعة: أن هذا الجمع قد تم وفق العرضة الأخيرة، واللغة التى أنزل بها القرآن وهى لغة قريش، وأنه كان مرتب الآيات والسور على ماهو عليه المصحف الآن، وبإجماع من الصحابة.

الخامسة: أن الرسم العثمانى للمصحف كتب بطريقة تحفظ وجوه الأداء

الصحيح عن النبى ﷺ، وفق الشرط التى اشترطها عثمان رضي الله عنه فى جمع النص القرآنى .

وبذا قضى هذا الجمع العثمانى على فتنة الاختلاف فى القراءات تماماً وإلى يومنا هذا، بعد أن وصل النص القرآنى المكتوب فى هذا المصحف الإمام إلى درجة الوثوق المطلق، وأجمع عليه الصحابة، وأحرق ما سواه من المصاحف؛ لتسقط بذلك كل الشبهات المثارة حول هذا الجمع من قبل المستشرقين وأذنابهم(١).

* * *

الفصل الثانى
(الأحرف السبعة)

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: معنى الحرف .

المبحث الثانى: روايات الحديث .

المبحث الثالث: اتجاهات الأقدمين فى تحديد المراد من الأحرف السبعة.

المبحث الرابع: الأحرف السبعة هل هى رخصة أم عزيمة ؟

المبحث الخامس: هل المجموع فى المصحف هو جميع الأحرف السبعة ؟

المبحث السادس: الأحرف السبعة والقراءات السبع .

(١) أهم هذه الشبهات: ما أثير منها حول الدافع وراء الجمع العثمانى للمصحف ووصفه بانه كان أرستقراطياً لمصلحة طبقته رضي الله عنه، وما أثير حول تاريخ الجمع حين ادعوا أن جمع المصحف تم فى عهد عمر؛ ليشككوا فى وثاقة النص القرآنى، وكذا ما أثير من شبهات حول أعضاء لجنة الجمع حين زعموا أن أعضاءها اختيروا لاعتبارات خاصة لا لكفاءتهم، هذا بالإضافة إلى ما أثير من شبهات حول النص القرآنى نفسه، حين زعموا أن الصحابة حذفوا من القرآن ما رأوا المصلحة فى حذفه – كالآيات التى تتعلق بأهل البيت وفضائلهم – وبأنهم أيضاً زادوا فى النص القرآنى ما ليس منه، ومزاعم أخرى كثيرة .

وبالإضافة إلى ما اثبته البحث من حقائق تدمغ هذه المزاعم، انظر فى الرد على كل الشبهات المثارة: مناهل العرفان ١ / ٢٢٢ – ٢٤٢، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، الشيخ: محمد أبو شهبة ص٢٨٣– ٣٠٨، مكتبة السنة،القاهرة، ط(٢) ٢٠٠٣، والرد على جولد تسهر فى مطاعنه على القراءات القرآنية، أد: محمد حسن جبل – الكتاب بكامله، وجهود الصحابى الجليل سيدنا زيد بن ثابت فى جمع القرآن الكريم، د: مصطفى عفيفى ص٢٨٦– ٣٩١، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين – جامعة الأزهر – بطنطا .

مدخـــل:

مع هذه الدقة المتناهية التى اكتنفت نقل النص القرآنى – كما أنزل من السماء – شفاهاً وتدويناً، إلا أنه قد وردت بعض الروايات تفيد بأن الصحابة على عهد رسول الله ﷺ انطلقوا يقرءون القرآن على أوجه متعددة، بعضها قرأ به رسول الله ﷺ، وبعضها لم يقرأ به، وإنما قرأ به الصحابة بإذن منه ﷺ.

هذه الروايات تعرف بأحاديث الأحرف السبعة، وقد اتخذها بعض المستشرقين ذريعة للطعن فى ألوهية النص القرآنى، ومصدره السماوى(١).

فما حقيقة الأحرف السبعة؟ وما الذى يشتمل عليه النص القرآنى منها؟ وهل هى رخصة أم عزيمة؟ وما الفرق بينها وبين القراءات السبع؟ هذا وغيره ما سيحاول البحث الإجابة عنه فى المباحث التالية.

المبحث الأول: معنى الحرف

يلزم قبل سوق روايات حديث الأحرف السبعة، وتفصيل القول فيه، أن أبين المراد من لفظ الحرف الوارد فى الحديث (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)(٢). وبالرجوع إلى معاجم اللغة تبين أن هذا اللفظ يطلق فى اللغة على معان عديدة، وأصل معناه: طرف الشيء وحده الذى ينتهى إليه، وبه سمى الحرف من حروف الهجاء؛ لأنه حد انقطاع الصوت وغايته، وطرفه الذى ينتهى إليه(٣).

---

(١) انظر على سبيل المثال: ما كتبه نولدكه فى تاريخ القرآن، وجولد تسهر فى مذاهب التفسير الإسلامى الذى وقف طويلاً – من ص ٤٣– ٧٢– أمام قضية الأحرف السبعة، والقراءات القرآنية، ليسوّد هذه الصفحات بالأباطيل، والروايات المكذوبة، والقراءات غير المعتمدة – التى حاول خلق سند قوى لها تمويهاً وخداعاً – ليثبت من وراء ذلك أن المسلمين كانوا يطلقون ألسنتهم وأيديهم بحرية فى النص القرآنى، يبدّلون ويغيّرون، وأنهم لم يكن لديهم نص موحد للقرآن الكريم.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى وقد تقدم فى ص (١٥).

(٣) راجع: اللسان (طرف) ٢/ ٤٠٠، والقراءات أحكامها ومصدرها، أد/ شعبان إسماعيل ص٢٩، دار السلام، القاهرة، ط ١٩٨٦م.

كما يطلق الحرف على الناحية، يقال فلان على حرف من أمره؛ أى: ناحية منه، إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[1] أى: إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه[2].

ويطلق (الحرف) أيضاً على اللغة، أو اللهجة التى تتكلم بها قبيلة من القبائل، قال أبو عبيد: وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة فى القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثانى بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما، كذلك إلى السبعة[3].

فهذا النص يوضح أن اللغة واللهجة بمعنى واحد فى لغة العرب، وكلاهما من معانى الحرف.

كما يطلق (الحرف) على الكلمة، قال ابن قتيبة: (والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها، والقصيدة بكمالها)[4].

والحرف: القراءة، تقول: هذا فى حرف ابن مسعود، أى: فى قراءته[5].

وقد نقل ابن الجزرى عن أبى عمرو الدانى قوله: معنى الأحرف التى أشار إليها النبى ﷺ يتوجه إلى وجهين:

أحدهما: يعنى: أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات؛ لأن الأحرف

---

(١) الحج (١١).

(٢) اللسان (حرف) ٢/ ٤٠١.

(٣) راجع: فضائل القرآن لأبى القاسم بن سلام ص٢٠٣، وانظر اللسان (حرف) ٢/ ٤٠٠.

(٤) راجع: تأويل مشكل القرآن ص٣٥، دار التراث، القاهرة، ط (٢) ١٩٧٣.

(٥) راجع: اللسان (حرف) ١/ ٤٠٠.

جمع (حرف) كفلس وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾، فالمراد بالحرف هنا: الوجه، أى على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر، ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد، فلهذا سمى النبى ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى: أن كل شيء منها وجه .

الثانى: أن يكون سمى القراءات أحرفاً على طريق السعة، كعادة العرب فى تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكان كسبب منه، وتعلق به ضرباً من التعلق كتسميتهم الجملة باسم البعض منها؛ فلذلك سمى القراءة حرفاً وإن كان كلاماً كثيراً؛ من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه، أو كسر، أو قلب إلى غيره أو أميل، أو زيد، أو نقص منه على ما جاء فى المختلف فيه من القراءة، فسمى القراءة إذ كان ذلك الحرف فيها حرفاً على عادة العرب فى ذلك، واعتماداً على استعمالها .

قال ابن الجزرى: وكلا الوجهين محتمل، إلا أن الأول محتمل احتمالاً قوياً فى قوله ﷺ (سبعة أحرف) أى: سبعة أوجه وأنحاء، والثانى محتمل احتمالاً قوياً فى قول عمر رضي الله عنه فى الحديث: (سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، أى: على قراءات كثيرة[١] .

وبذا يتضح أن لفظ (الحرف) له إطلاقات عديدة، فهو يطلق على الحرف الهجائى، وعلى الكلمة، واللغة أو اللهجة، والوجه الأدائى أو القراءة، وكل هذه المعانى يحتملها حديث الأحرف السبعة، كما سيتضح من رواياته فى المبحث التالى .

(١) راجع: النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى ١ / ٢٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٣) ٢٠٠٦ .

المبحث الثانى: روايات الحديث

حديث الأحرف السبعة من الأحاديث القلائل التى رواها من الصحابة جمع غفير، أوصلهم السيوطى إلى واحد وعشرين صحابياً[١] وقد نص أبو عبيد على تواترهذا الحديث عن رسول الله ﷺ[٢].

وبعد دراسة عميقة لروايات الحديث من قبل الأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين – بعد أن أفاد من جهد العالمين الجليلين أحمد شاكر ومحمود شاكر، ونقدهما للروايات الواردة فى تفسير الطبرى – أوصل الدكتور عبد الصبور عدد الصحابة الذين رووا حديث الأحرف السبعة إلى أربعة وعشرين صحابياً، ثم ذكر أن عدد الأسانيد التى ورد من طريقها الحديث بلغت ستة وأربعين سنداً، منها ثمانية وثلاثون سنداً صحيحاً، لا مطعن فيها من الوجهة النقدية، كما ذكر أن الأسانيد جميعها متصلة، ما خلا أربعة انقطع فيها السند، ولكن صحت روايتها عن أصحابها، وتأيد معناها بالأحاديث المتصلة[٣].

أهم هذه الروايات :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة النبى ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ . .) الحديث[٤].

وعن أبيّ بن كعب أن النبى ﷺ كان عند أضاة[٥] بن غفار، قال: فأتاه جبريل

(١) راجع: الإتقان فى علوم القرآن ١ / ١٥٥

(٢) راجع: فضائل القرآن ص٢٠٣ .

(٣) راجع: تاريخ القرآن ص٥٠، ٥١ .

(٤) تقدم تخريجه ص (١٥).

(٥) أضاة – بفتح الهمزة وبضاد معجمة – بوزن – حصاة – الماء المستنقع، كالغدير، وهو القطعة من الماء يتركها السيل، والجمع: – أضى وإضاء، كأكم وإكام.
راجع: النهاية ١ / ٥٣ (أضا)، وشرح النووى على مسلم ٣ / ٣٦٥ .

عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا فقد أصابوا(١).

– وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ (قال جبريل: يا محمد، اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزده فاستزاده، قال اقرأه على حرفين، قال ميكائيل: استزده، فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف، قال: كلها شاف كاف، مالم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب نحو قولك: تعال، وأقبل وهلم واذهب وأسرع وعجل)(٢).

– وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف، عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً)(٣).

– وروى أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبى ﷺ قال: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف)، فقاموا حتى لم يحصوا(٤).

وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: لقى رسول الله ﷺ جبريل فقال: (ياجبريل إنى بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية،

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب (صلاة المسافرين) باب (بيان أن القرآن على سبعة أحرف) – حديث رقم (٨٢١)، وأحمد فى المسند برقم (٢١٠٧١).

(٢) إسناده حسن. وقد أخرجه أحمد فى المسند، برقم (٢٠٣٩٣).

(٣) إسناده حسن. وقد أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف، كتاب (فضائل القرآن)، أثر رقم (٣٠٧٤٣).

(٤) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد، رقم (١١٥٧٨)، وقال: رواه أبو يعلى فى الكبير، وفيه راو لم يسمّ.

والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف)[1].

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[2].

– وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أقرأ رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ. طَعَامُ الأَثِيمِ﴾[3]، قال الرجل: طعام اليتيم، فردها، فلم يستقم لسانه بها، فقال: (أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال نعم، قال: فافعل)[4].

– وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأنى رسول الله ﷺ سورة من آل حم، فرحت إلى المسجد، فقلت لرجل: اقرأها، فإذا هو يقرؤها على حروف ما أقرؤها، فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه، فتغير وجهه وقال: (إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف)، ثم أسر إلى علي شيئاً، فقال علي: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم، قال: فانطلقنا وكلّ رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه[5].

هذا. وبعد سوق هذه الروايات من حديث الأحرف السبعة يتضح لنا أن هذه

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب (القراءات)، باب (ما جاء: أنزل القرآن على سبعة أحرف) حديث رقم (٢٩٤٤) وقال: حسن صحيح .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (فضائل القرآن)، باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حديث رقم (٤٩٩١)، ومسلم فى كتاب (صلاة المسافرين)، باب (بيان أن القرآن على سبعة أحرف) حديث رقم (٨١٩).

(٣) الدخان (٤٣، ٤٤).

(٤) الأثر ذكره الطبرى فى تفسيره ١٢/ ٢٨٥، والسيوطى فى الإتقان ١/ ١٥٩، وأخرجه الحاكم فى المستدرك رقم (٣٦٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٢٢٤ وهو حديث صحيح كما ذكر الذهبى فى التلخيص بهامش المستدرك .

الأحرف حقيقة لا يمكن جحدها – لصحة الأحاديث الواردة فيها، والتى بلغ بها بعض العلماء حد التواتر – وأنها شرعت للتيسير على هذه الأمة لعلل أوجبت ذلك، كما نطق حديث أبيّ بن كعب.

وقد حاول العلماء استقصاء صور هذا التيسير الذى جاءت به الأحرف السبعة، وطبقه النبى ﷺ وصحابته عملياً، وذلك من خلال مدارستهم للقراءات الواردة فى النص القرآنى عن النبى ﷺ بصحيحها وشاذها(١)، بهدف تحديد المراد من هذه الأحرف، فكانت لهم وجهات متعددة بيانها فى المبحث التالى.

المبحث الثالث: اتجاهات الأقدمين فى تحديد المراد بالأحرف السبعة

ذكر السيوطى فى الإتقان أن العلماء اختلفوا فى تحديد المراد من الأحرف السبعة على نحو أربعين قولاً، ونظراً للتداخل الشديد بين ما ذكره السيوطى من هذه الأقوال، رأيت أنه يمكن إرجاعها إلى أربعة اتجاهات أساسية:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن الأحرف السبعة تتعلق بالمعانى لا بالألفاظ، ثم إنهم اختلفوا فى تأويلها، فقال قوم: هى الوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمواعظ والأمثال، والمجادلة، وقال آخرون هى الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمجمل والمبين، والمفسر، وقال آخرون غير ذلك(٢).

ويضعف هذا الوجه أمران:

الأول: أن هذه المعانى لا تسمى أحرفاً، كما سبق من تحديد المعنى اللغوى للحرف، والذى ترتبط دلالته بالألفاظ لا بالمعانى.

---

(١) عبر عن هذا ابن الجزرى بقوله: (قد تتبعت صحيح القراءة وشاذها وضعيفها ومنكرها، فإذا هى يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه لا يخرج عنها...).
راجع: النشر ١/ ٢٨.

(٢) راجع: الإتقان ١/ ١٥٦– ١٦٥.

الثانى: أن الصحابة رضوان الله عليهم – كما يقول ابن الجزرى – حين اختلفوا وترافعوا إلى النبى ﷺ، كما حدث فى قراءة عمر وهشام... لم يختلفوا فى تفسير القرآن ولا أحكامه، وإنما اختلفوا فى قراءة حروفه(١).

يضاف إلى ذلك: أن التطبيق العملي للتيسير الذى جاءت به الأحرف السبعة من قبل النبى ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم كان فى الألفاظ لا فى المعانى، كما نطقت بذلك بعض الروايات(٢).

الاتجاه الثانى: أن المراد سبع لغات فى حرف واحد وكلمة واحدة، تختلف فى اللفظ، وتتفق فى المعنى، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإلى، وقصدى، ونحوى، وقربى، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ وتتفق فيه المعانى، وهذا الاتجاه رجحه الطبرى رحمه الله(٣)، ونسبه ابن عبدالبر إلى أكثر أهل العلم(٤)، على حين نقل ابن الجزرى رحمه الله إجماع العلماء على أنه ليس هو المقصود من الحديث، قال: إذ لايوجد ذلك إلا فى كلمات يسيرة من القرآن نحو (أف) و(جبريل)، و(أرجه)، و(هيهات)، و(هيت)(٥).

الاتجاه الثالث: يرى أصحاب هذا الاتجاه: أن الأحرف السبعة ترجع إلى سبعة وجوه من الاختلاف متفرقة فى القرآن، صنفها ابن قتيبة على النحو التالى:

١– الاختلاف فى إعراب الكلمة، أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب، ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: ﴿**هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَـرُ لَكُمْ**﴾(٦) وأطهرَ لكم، ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ**﴾ وهل يجازى إلا الكفور.

(١) راجع: النشر ١/ ٢٧.
(٢) راجع ص (٦٨)، (٦٩).
(٣) راجع: جامع البيان ١/ ٤٧، ٤٨.
(٤) راجع: الاستذكار ٨/ ٣٩، دار الوغى، حلب، ط (١) ١٩٩٣.
(٥) راجع: النشر ١/ ٢٦.
(٦) هود (٧٨).

٢– أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب، نحو: ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾(١) وربُّنا باعَدَ بين أسفارنا .

٣– أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾(٢) وكيف نُنْشِرُهَا .

٤– أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب، ولا يغير معناها نحو قوله: ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾(٣) وكالصوف .

٥– أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله: (وطلع منضود) فى موضع: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾(٤).

٦– أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى ﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾(٥) وجاءت سكرة الحق بالموت).

٧– أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله: ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾(٦)،(وما عملت أيديهم)(٧).

وقد حسّن ابن الجزرى تصنيف ابن قتيبة لأوجه الاختلاف السبعة على هذا النحو ثم قال: (على أنه قد فاته كما فات غيره أكثر أصول القراءات، كالإدغام،

---

(١) سبأ (١٩).

(٢) البقرة (٢٥٩).

(٣) القارعة (٥).

(٤) الواقعة (٢٩).

(٥) ق (١٩).

(٦) يس (٣٥).

(٧) راجع: تأويل مشكل القرآن ٢٦– ٢٨ .

والإظهار، والإخفاء، والإمالة، والتفخيم، وبين بين، والمد، والقصر، وبعض أحكام الهمز...) ويريد: أن ابن قتيبة وغيره لم يشيروا إلى الاختلاف اللهجي فى وجود أداء القرآن، وهذا – كما يقول ابن الجزرى – من اختلاف القراءات مما اختلف فيه أئمة القراء(١).

وقد عاب الزرقانى فى مناهله على ابن قتيبة إهماله هذا الوجه، بعدم إدراجه فى الوجوه السبعة للاختلاف فى القراءة التى ذكرها، لا سيما وأن ابن قتيبة كان قد سبق وأن اعترف بهذا الوجه من الاختلاف(٢). وبأنه من التيسير الذى أذن الله لنبيه أن يقرئ به أمته، ومن ثم رجح مذهب الرازى فى تفسير الأحرف السبعة؛ لأنه استوعب ما قاله ابن قتيبة، وأضاف إليه هذا الوجه المهم (اختلاف اللهجات)، قال: لأن إضافته هذا الوجه هو فى حقيقته رعاية أمر واقع تختلف به القراءات فعلاً، ويمكن أن يكون مثار النزاع الذى دب بين الصحابة فى اختلاف القراءات، كما يكون أيضاً مثاراً للنزاع فى كل عصر ومصر بين القراء إذا لم يعلموا أن الجميع من عداد الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن؛ وذلك لأن تحريف القرآن يحرم بما يمس صورته وطريقة أدائه وكيفية لهجاته، كما يحرم بما يمس جوهره، وتغيير حروفه وكلماته، وحركاته وترتيبه.

كما أن التيسير على الأمة – وهى الحكمة البارزة من نزول القرآن على سبعة أحرف – لايتحقق على الوجه الأكمل إلا بحسبان هذا الوجه الذى نوه به الرازى،

---

(١) راجع: النشر ١/ ٢٩.

(٢) حيث قال ابن قتيبة ما نصه: (ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً؛ لا شتد ذلك عليه، وعظمت المحنة عليه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فاراد الله برحمته ولطفه: أن يجعل لهم متسعاً فى اللغات، ومتصرفاً فى الحركات، كتيسيره عليهم فى الدين؛ حين أجاز لهم على لسان رسول الله ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته فى فرائضهم، وأحكامهم، وصلواتهم...) إلخ.

راجع: تأويل مشكل القرآن ص٤٠، ٤١.

وهو اختلاف اللهجات[١] اهـ.

وهذا كلام طيب، بل إن مراعاة هذا الوجه الأدائى – لا يعد فى رأيى– من تيسير التلاوة فقط، ولكنه من الضرورة التى تقتضيها مراعاة أمر فطرى طبيعي، مما تختلف فيه الألسنة ذات اللغة الواحدة؛ لارتباط كل إنسان بلهجته التي نشأ عليها، وتعذّر مخالفتها عليه فى كثير من الأحيان .

الاتجاه الرابع: أن المراد بالسبعة ليس حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة فى الآحاد، كما يطلق السبعون فى العشرات، والسبعمائة فى المئين، ولا يراد العدد المعين.

قال السيوطى[٢]: ويردّه ما فى حديث ابن عباس فى الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: (أقرأنى جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى، حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[٣].

وقريب من قول السيوطى، قول ابن الجزرى تعليقاً على هذا الرأى، وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه، ثم ذكر الحديث الذى استشهد به السيوطى برواية قريبة[٤].

وفى رأيى: أن الحديث لا يأبى هذا التفسير – أن المراد بالسبعة ليس حقيقة العدد – لأنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله ﷺ (حتى انتهى إلى سبعة أحرف): حتى انتهى إلى كثرة، ما دامت العرب تعرف هذا فى لغتها.

وكأنه ﷺ أراد بهذا التعبير بيان مدى التيسير الذى يسرّه الله على قارئ القرآن من أصحاب الأعذار .

(١) راجع: مناهل العرفان فى علوم القرآن ص١٤١ .

(٢) راجع: الإتقان ١ / ١٥٦ .

(٣) تقدم تخريجه فى ص (٦٩).

(٤) راجع: النشر ١ / ٢٧ .

هذا، وبعد سوق هذه الاتجاهات، وقبل ذلك: بعد تحديد المراد من الحرف لغة، وسوق روايات الحديث: يتضح لنا أن الأحرف السبعة إنما هى فى الألفاظ وحدها لا فى المعانى، وأن التيسير الذى جاءت به قد يكون لهجياً، أو فى الكلمة، أو فى جزء منها، أو فى حركة الإعراب، أو فى التقديم والتأخير... على النحو الذى سبق وأن أوضحه ابن قتيبة والرازى.

وهذا هو التيسير الـذى جاءت به الأحرف السبعة، والذى جعل له ﷺ حداً ينتهى إليه فى قوله: (مالم تختم آية رحمة بآية عذاب) أى: ما لم يتغير معنى الكلمة القرآنية.

وبذا يمكن تحديد المراد من الأحرف السبعة، أو تعريفها بأنها: (الأوجه التى يرجع إليها كل اختلاف فى القراءات، سواء منها ما كان صحيحاً أو شاذاً أو منكراً، مالم يخرج القارئ عن المعنى).

المبحث الرابع: الأحرف السبعة، هل هى رخصة أم عزيمة ؟

قد يبدو من القراءة الأولى لبعض الروايات الواردة فى حديث الأحرف السبعة، وتحديداً: حديث أضاة بنى غفار[1] – الذى هو موضع بالمدينة – قد يبدو من هذا الحديث وما جرى فيه من حوار بين النبى ﷺ وجبريل، أن الأحرف السبعة رخصة شرعت فى وقت متأخر من بدء نزول الوحى، حين توافدت الوفود على رسول الله ﷺ، وقد اختلفت لهجاتهم، وتباينت طبقاتهم ما بين الشيخ والغلام والخادم؛ فكان من المستحيل أن تستقيم ألسنة هؤلاء على اللغة التى أنزل بها القرآن، ومن ثم كانت مراجعة النبى ﷺ لجبريل – عليه السلام – بشأنهم.

وقد اتجه الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين هذه الوجهة محاولاً معرفة تاريخ ميلاد هذه الرخصة على سبيل التقريب، بعد أن استحالت معرفته عنده على

(١) راجع نص الحديث فى ص (٦٨).

سبيل التحديد، فتوصل إلى أن الإذن بقراءة الأحرف السبعة شرع خلال السنة التاسعة للهجرة، وهو العام الذى شهد اندفاع العرب من كل أنحاء شبه الجزيرة يعلنون إسلامهم، وكان فيهم بالطبع الشيخ والغلام والخادم، وذووا العلل، وقبل ذلك: فإن تحكم الظواهر اللغوية فى ألسنة هؤلاء جعل من المستحيل أن تستقيم ألسنتهم على اللغة التى أنزل بها القرآن، ودوّن بها الوحى، فكان الإذن بقراءة القرآن على سبعة أحرف، هو العلاج الناجع لهذا كله، ولكن فى إطار التلقى والمشافهة فقط، تيسيراً على الناس، وتوسعاً فى الإعلام بالقرآن.

ولكن هذه الرخصة لم تمارس تأثيرها فى قراءة الناس– حسب رأى الدكتور عبد الصبور – إلا فى أقل من عامين – سنة تسع للهجرة، وسنة عشر للهجرة، قال: ومعنى ذلك بداهة أن الوحى استمر ينزل على قلب النبى ﷺ واحداً وعشرين عاماً على حرف واحد، وأن المجتمع كله كان يقرأ القرآن على حرف واحد، وأن تدوين ما كان ينزل من القرآن، كان أيضاً على حرف واحد، لا شك فى هذا أبداً بعد أن وضحت لنا المعالم التاريخية السابقة، قال: ولم يعدل ذلك من الالتزام الثابت بتدوين القرآن على حرف قريش(١).

ومع احترامى لهذا الرأى الذى قد يبدو متفقاً مع ظاهر الحديث، إلا أن الأحرف السبعة فى رأيى صفة لازمت القرآن منذ نزوله، ولم تكن رخصة شرعت لضرورة، ثم ارتفعت بارتفاع موجبها، ومن ثم أرانى لا أتفق مع الأستاذ الدكتور عبد الصبور فى وجهته، كما لا أتفق مع القائلين بأن الأحرف السبعة كانت أولاً ولفترة معينة، ثم اجتمعت الأمة على حرف واحد فقط، بعد الجمع العثمانى للمصحف، وهو مذهب الطبرى(٢) رحمه الله.

---

(١) راجع: تاريخ القرآن ص٨٠، ٨١، ٨٤ .

(٢) راجع: جامع البيان ١/ ٥٠ .

الأحرف السبعة إذن صفة لازمت القرآن منذ نزوله، ولم تنفك عنه. ولى على ذلك عدة أدلة:

الأول: قوله ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أى إن القرآن نزل هكذا على سبعة أحرف، ولم ينزل مجرداً عنها، ثم طرأت عليه.

الثانى: ما ثبت بالتواتر من اختلاف فى القراءات فى بعض الآيات التى نزلت فى مكة، والتى حفظ لنا الرسم العثمانى بعضاً منها، نحو: (فكّ رقبة)، بفتح الكاف، ونصب (رقبة)، على أنه مفعول، (أو أطعم)[1] بفتح الهمزة، وحذف الألف بعد العين، وفتح الميم من غير تنوين، على أنه فعل ماض، وهى قراءة ابن كثير.

ونحو ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾[2]، قرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمز، وقرأ الباقون بإبدال الهمزة واواً، من أوصد يوصد.

ونحو: (لإلاف)[3] بغير ياء بعد الهمزة، وهى قراءة ابن عامر[4].

وهناك قراءات أخرى وردت فى الآيات المكية، لم يحفظها لنا الرسم العثمانى، مما اختلفت فيها مصاحف الصحابة رضوان الله عليهم عن هذا الرسم، ومنهم السابقون إلى الإسلام، كعلى بن أبى طالب، وعثمان بن عفان رضى الله عنهما، وقد حفظتها لنا كتب التفسير والقراءات نحو:

- (يَرِثُنِي وَآلِ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)، وهى قراءة على ابن أبى طالب، وابن عباس

(١) البلد (١٤).

(٢) البلد (٢٠).

(٣) قريش (١).

(٤) راجع هذه القراءات فى: الإقناع فى القراءات السبع، أبو جعفر الأنصارى ٢/ ٨١٢، ٨١٤ والمصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر، للإمام المبارك ابن الحسن الشهرزورى ٣/ ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٣، وكلها قراءات متواترة عن النبى ﷺ.

رضى الله عنهما. وكذا (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ)[١] وهى قراءة النبى ﷺ، وعثمان رضي الله عنه [٢].

فكل هذه الأوجه من الاختلاف فى القراءة بصحيحها وشاذها يشملها معنى الأحرف السبعة، على النحو الذى تقدم توضيحه[٣] كما أن كون هذه القراءات منقولة عن هؤلاء الصحابة ومنهم السابقون إلى الإسلام، يؤكد أن الأحرف السبعة لم تشرع فى المدينة، وإنما رافقت القرآن منذ نزوله خاصة وأنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ بسند قوى أو ضعيف، أنه قد تعدد نزول سور القرآن، أو بعبارة أخرى: لم يثبت أن السور المكية نزلت مرة ثانية بالمدينة، ولو حدث لنقل ذلك إلينا نقلاً متواتراً، ولحسم الخلاف فى هذه المسألة .

الثالث: أن القائلين بأن الأحرف السبعة رخصة شرعت لضرورة فرضتها اختلاف أصناف الوافدين ما بين الشيخ والغلام والخادم، وتباين لهجاتهم... أقول هذه الصفات لم تكن ثابتة لبعض المتلقين عن النبى ﷺ من العرب دون البعض الآخر، فالمتلقون الأول للوحى عن رسول الله ﷺ، كان أيضاً فيهم الشيخ والغلام والخادم، وكان هناك تباين فى لهجاتهم حتى وإن كانوا أهل لغة واحدة، كما هو الحال فى الخلاف الذى نشب بين عمر وهشام بن حكيم رضى الله عنهما[٤]، وكلاهما قرشيان؛ إذ من الثابت عند أهل الدرس اللغوى أن قريشاً كانت تحوى فى لغتها كثيراً من لغات من حولها من القبائل، بل إن قريشاً كانت تنتقى أفضل ما

---

(١)، (٢) القراءتان غير متواترتين، وهما فى المحتسب، ابن جنى ٢ / ٣٨، ٣٠٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط١٩٩٤، والفريد فى إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذانى ٣ / ٣٨٣، ٤١٣، دار الثقافة، قطر ط (١) ١٩٩١ ..

(٣) راجع ص (٧٦).

(٤) راجع رواية البخارى فى ص (١٤)، (١٥).

لدى القبائل الأخرى من لغات فتضمها إلى لغتها[١]، ولعل هذا يفسر سر اختلاف عمر وهشام بن حكيم، إلا أن هذا الاختلاف لم يكن بطبيعة الحال بحجم ما كان بين أهل القبائل المختلفة، أو بين القرشيين وغيرهم؛ ولذا نجد النبى ﷺ حين كثر الوافدون عليه من أهل القبائل الأخرى، وتباينت طبقاتهم ولهجاتهم، يمنح من به علة معينة منهم (العجوز- الخادم - الغلام...)، وكذا من تعوزه لهجته عن قراءة القرآن على النحو الذى يتلقاه عنه ﷺ، أو عن أحد صحابته، منح النبى ﷺ هؤلاء إذناً بأن يقرءوا القرآن حسب ما يستطيعون ما لم يخرجوا بالكلمة القرآنية عن معناها، أى فى الحدود التى رسمها ﷺ فى قوله: (مالم يختم آية رحمة بآية عذاب، كقولك هلم، وأقبل، واذهب، وأسرع، وعجل)[٢].

فهو إذن تيسير خاص بأصحاب الأعذار ينتهى عند حد إحلال كلمة مكان كلمة بالمعنى نفسه، وليس تيسيراً على مستوى النص القرآنى، كما يرجف المرجفون من أصحاب نظرية الحرية فى قراءة القرآن الكريم[٣].

وهذا كله بدافع التيسير على أهل الأعذار من الناس، ورغبة فى نشر النص القرآنى بين القبائل على نطاق واسع؛ ومن ثم انطلق الناس يقرءون القرآن على وجوه عديدة، حتى كثر اختلافهم، وحينئذ نزل جبريل عليه السلام للنبى ﷺ قائلاً: (إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف)، ولكن النبى ﷺ لم يزل

(١) ومن هنا اعتبر المؤرخون للّغة وآدابها أن قريشاً كان لها دور كبير فى تهذيب لغة العرب، وتنقيتها من الحوشى والغريب؛ حيث كان العرب يرجعون إليها للاحتكام فى لغتهم، فى سوق عكاظ وغيره، وكانت هى بدورها تبالغ فى انتقاء اللهجات، واختيار الأفصح منها.

راجع: تاريخ آداب العرب، أ: مصطفى صادق الرافعى ١/ ٩٥- ٩٧، دار الكتاب العربى، بيروت، ط (٤) ١٩٧٤.

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٨).

(٣) على رأسهم جولد تسيهر فى كتابه مذاهب التفسير الإسلامى كما سبق وأن أشرت.

يراجعه ويستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف، كما سبق فى حديث أضاة بنى غفار(١).

فهذا القول من جبريل عليه السلام ليس تشريعاً لرخصة هى فى رأيى شرعت بنزول القرآن، فهى مشروعة ابتداء، ولكنه عليه السلام أراد من النبى ﷺ أن يوحد الناس على حرف واحد؛ حتى يقضى على ما نشب بينهم من خلاف، ولكن النبى ﷺ شفقة بأمته، شرع يراجع جبريل حتى انتهى إلى ماهو مشروع ابتداء: السبعة أحرف .

ثم إنه لما فشا الخلاف فيما بعد فى عهد عثمان رضي الله عنه، حتى كاد يكفر الناس بعضهم بعضاً، كان ما كان من أمر جمع الناس على مصحف واحد، يشتمل على ما يحتمله رسمه من الأحرف السبعة المتصلة السند برسول الله ﷺ على ما سيأتى تحقيقه– ومن ثم أجمع عليه الصحابة، وبإجماعهم قضى على كل خلاف يتصل بالنص القرآنى، وإلى يومنا هذا .

وبناء على ذلك ينبغى أن نفرق بين مرحلتين فى تاريخ النص القرآنى.

الأولى: ما قبل إذنه ﷺ لذوى الأعذار من أهل القبائل الأخرى بقراءة القرآن على سبعة أحرف، ما لم يخرج القارئ عن المعنى.

الثانية: ما بعد هذا الإذن منه ﷺ.

أما المرحلة الأولى: فقد قرئ فيها القرآن ودوّن على سبعة أحرف، ولكن فى الحدود التى نزل بها جبريل من السماء فى العرضات المختلفة، وهذه العرضات كانت تحوى وجوهاً متعددة من أداء النص القرآنى حسب لغة قريش – لأن القرآن نزل بلغتهم – التى كانت تحوى بدورها العديد من اللغات الأخرى كما سبق وأن

(١) تقدم فى ص (٦٨).

ذكرت(١).

فقراءة النص القرآنى فى هذه المرحلة اقتصرت على ماهو مسموع من رسول الله ﷺ فقط، كما نزل به جبريل من السماء.

وأما المرحلة الثانية: فقد طرأ – مع اختلاف لهجات الوافدين وكثرتهم واختلاف أصنافهم – ما جعل النبى ﷺ ييسر على من يتلقون عنه القرآن من أصحاب الأعذار، بأن يقرءوا القرآن حسب ما يستطيعون وإن لم يكن مسموعاً منه ﷺ، ما لم يخرجوا بالكلمة القرآنية عن معناها، وهذا أيضاً فى إطار التيسير الذى جاءت به الأحرف السبعة.

أما عن تدوين النص القرآنى فى هذه المرحلة وتبليغه من قبله ﷺ فقد كان يتم كما فى المرحلة التى قبله وفق ما كان ينزل به جبريل من السماء؛ حفظاً للنص الإلهى من أى خلط أو تحريف .

ولذا كانت هناك قراءة تسمى قراءة العامة، وهى القراءة التى كان يبلغ بها النبى ﷺ القرآن كما أنزل فى مجالسه المختلفة وصلواته.

روى البغوى فى شرح السنة عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال: كانت قراءة أبى بكر، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرءون قراءة العامة، وهى القراءة التى قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين فى العام الذى قبض فيه، وكان على طول أيامه يقرأ مصحف عثمان ويتخذه إماماً(٢).

وهذا الخبر يؤكد على أن الذى جمع من القرآن فيما بعد كان قد تم وفق هذه القراءة .

(١) راجع ص (٨٠).

(٢) راجع: شرح السنة ٣/ ٥٢٥، وفى جمال القراء للسخاوى ٢/ ٤٦٢ عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال: قرأت على عثمان ابن عفان رضي الله عنه، ثم قرأت على على رضي الله عنه من بعده، ثم قرأت من بعده على زيد بن ثابت، وكانت قراءتهم سواء، وهى قراءة أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أبو بكر وعمر .

المبحث الخامس: هل المجموع فى المصحف هو جميع الأحرف السبعة؟

أجمع العلماء على أن المصحف الذى بين أيدينا اليوم لا يحتوى على شىء من الأحرف التى لم يتصل سندها برسول الله ﷺ لأن هذه لم تسجل بين يديه ﷺ، ولا فى الجمعين البكرى والعثمانى؛ ومن ثم فإن المصحف لا يحتوى على شىء منها البتة؛ إذ أنها معتمدة على النقل الشفاهى، ومن ثم لم تعتمدها الأمة، ولم تعدها قرآناً .

أما الأحرف المتصلة السند برسول الله ﷺ، فهذه اختلف العلماء بشأن احتواء المصحف عليها على آراء يمكن تمييزها إلى ثلاثة:

الرأى الأول: وهو رأى الطبرى رحمه الله، حيث يرى أن المجموع فى المصحف هو حرف واحد من الأحرف السبعة فقط؛ لأن الأمة خيّرت فى قراءة القرآن بأى الأحرف السبعة شاءت، فالقراءة بها لم تكن ملزمة، وقد رأت الأمة لعلة من العلل أن تثبت على حرف واحد، قال: (فتركت القراءة بالأحرف الستة التى عزم إمامها العادل على تركها؛ طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها؛ لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود لصحتها... فلا قراءة اليوم لأحد من المسلمين إلا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية، قال: فإن قال بعض من ضعفت معرفته: كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول ﷺ، وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إن أمره إياهم لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة...)، وقد شرع الطبرى يقرر رأيه هذا فى حجاج عقلى(١).

(١) راجع: جامع البيان ١/ ٤٨، ٥٠، ٥١ .

ورأى الطبرى هذا وافقه عليه كثير من العلماء، منهم: ابن عبد البر(١)، وكذا ابن تيمية، ونسبة إلى جمهور العلماء من السلف والأئمة(٢).

الرأى الثانى: أن المجموع فى المصحف هو جميع الأحرف السبعة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وهذا الرأى هو رأى الباقلانى رحمه الله، وتابعه عليه جماعة من المتكلمين والفقهاء.

وقد علل أصحاب هذا الرأى لرأيهم بأن القول بأن المجموع فى المصحف هو أحد الأحرف السبعة، أو بعضها يترتب عليه اتهام الأمة بإهمال نقل شىء من الحروف السبعة التى نزل بها القرآن، وهذا أمر لايجوز للأمة أن تجمع عليه، كما أنه لا يجوز لعثمان ولا لغيره منع القراءة بشىء من الأحرف السبعة وحظره، وتخطئة القارئ به وتأثيمه، بعد توقيف الرسول ﷺ على صواب القارئ بكل منهما، كما لا يجوز للأمة ذلك؛ لأنه إجماع على خطأ، وهو ممتنع على الأمة(٣).

الرأى الثالث: يرى أصحاب هذا الرأى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل، لم تترك منها حرفاً.

وقد انتصر ابن الجزرى رحمه الله لهذا الرأى، ونسبه إلى جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين، قال: (وهذا القول هو الذى يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة، والآثار المستفيضة تدل عليه، وتشهد له...)(٤).

وهذا هو الرأى الراجح فى نظرى لما مر ذكره من أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه

(١) راجع: الاستذكار ٨/ ٤٢.

(٢) راجع: مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٩٥، المملكة العربية السعودية، دت.

(٣) راجع: الانتصار للقرآن، ٣٣٥ / ١، وانظر: النشر فى القراءات العشر ص٣١، والقراءات الشاذة وضوابط الاحتجاج بها فى الفقه والعربية، د: عبد العلى المسئول ص١٠١، دار ابن القيم، الرياض، ط (١) ٢٠٠٨.

(٤) راجع: النشر ١/ ٣١.

عنه، حين شرع يجمع القرآن من الرقاع التى دونت بين يدى رسول الله ﷺ، اشترط إلى جوار ذلك شروطاً أساسية هى:

– أن يكون النص مكتوباً بين يدى النبى ﷺ.

– أن يكون متلقى عنه ﷺ مباشرة.

– أن يشهد شاهدان على الأمرين السابقين.

أما الذى لم تتوافر فيه هذه الشروط مجتمعة، فقد استبعد من الجمع البكرى، وإن كان متصل السند برسول الله ﷺ.

كما أن عثمان رضي الله عنه وإن كان قد جمع المصحف جمعاً ثانياً – مرت فيه عملية الجمع بما مرت به قبلاً فى عهد أبى بكر رضي الله عنه إلا أنه رضي الله عنه، حين قابل مصحفه بصحف أبى بكر رضي الله عنه، لم يختلفا فى شيء – كما جاء فى رواية عمارة بن غزية[1]، ومن ثم ظلت بعض القراءات الصحيحة النسبة إلى النبى ﷺ لم تعتمد فى هذا الجمع.

فإذا ما أضفنا إلى ذلك كون هذين الجمعين قد تما وفق العرضة الأخيرة فقط – كما سبق –[2] تأكد لدينا أن المصحف الذى بين أيدينا اليوم لا يتضمن كل القراءات الصحيحة النسبة إلى رسول الله ﷺ.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن الرسم العثمانى للمصحف، لم يسمح بطبيعة الحال بحفظ جميع ما صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ، وإنما فقط ما اتفق مع الشروط التى اشترطها عثمان ومن قبله أبو بكر – رضى الله عنهما – فى جمع المصحف، وعلى هذا – وكما يقول ابن الجزرى – فإن القول بأن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة معناه بأننا نقطع بأن كل ما خالف

(١) راجع ص (٤٩).

(٢) راجع ص (٤٠).

الرسم ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محظور؛ لأن كثيراً مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة رضوان الله عليهم – وعن النبى ﷺ(١).

وبذا يمكننا أن نميز بين هذه الأنواع من الأحرف السبعة:

– نوع متصل السند برسول الله ﷺ، متفق مع رسم أحد المصاحف العثمانية، وهو الذى يطلق عليه قرآن، ويعتمده المسلمون أجمعون.

– نوع متصل السند برسول الله ﷺ ضمن الأحرف السبعة، ولكنه غير متفق مع رسم أحد المصاحف العثمانية، وهذا النوع لا يعتمده المسلمون ولا يعدونه قرآناً؛ لمخالفته المصاحف العثمانية.

وقد ظل هذا النوع مروياً عن آحاد الصحابة، أو فى مصاحف خاصة بهم، تناقلها الرواة، فهذا النوع من القراءات، وإن صحت نسبته إلى النبى ﷺ، إلا أن المسلمين لا يعتدون به؛ لأنه نقل آحاداً، ولم ينقل نقلاً متواتراً، كقراءة: (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفارفَ خُضْرٍ وَعَباقَرِيٍّ حِسَان)(٢) فهذه من القراءات التى قرأ بها النبى ﷺ، ولكنها آحادية، ومن ثم لا تعد قرآناً.

– نوع غير متصل السند برسول الله ﷺ؛ مما وسع به الناس على أنفسهم فى التلاوة بإذن منه ﷺ، وهذا النوع لا يعد قرآناً، ولا يعتمده المسلمون؛ لعدم اتصال سنده برسول الله ﷺ، إذ أن هذا الشرط –صحة السند– هو الركن الأقوم فى قبول القراءة، كما يقرر العلماء.

فلابد أولاً من ثبوت النقل، ثم ينظر فى الأركان الأخرى بعد ذلك(٣).

ومن هنا اشترط العلماء لكي يحكم على القراءة بأنها صحيحة، أو يحكم

(١) راجع: منجد المقرئين ص١٠٨.

(٢) راجع هذه القراءة فى: المحتسب ٢ / ٣٠٥، والفريد فى إعراب القرآن المجيد ٤ / ٤١٣.

(٢٢٤) راجع: رسم المصحف، غانم الحمد ص ٥٣٤، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط (١) ٢٠٠٤م، ومن قضايا القرآن ص١٤٩.

عليها بأنها قرآن ثلاثة شروط أساسية :

أولها : اتصال السند برسول الله ﷺ :

ويقصدون بذلك أن يتصل سند هذه القراءة اتصالاً متواتراً برسول الله ﷺ بأن يروى القراءة جمع عن جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب حتى يصل السند إلى رسول الله ﷺ .

ثانيها : موافقة هذه القراءة لأحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً .

ومعنى : (موافقة أحد المصاحف) أن تكون القراءة ثابتة ولو فى بعض المصاحف دون البعض، كقراءة ابن كثير ﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾[١] فى آخر سورة التوبة بزيادة (من)، فإن ذلك ثابت فى المصحف المكي .

ويقصدون بقولهم : (ولو تقديراً) : أنه يكفى فى القراءة أن توافق رسم المصحف، ولو موافقة غير صريحة، كقوله تعالى : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ فإنه رسم فى جميع المصاحف بحذف الألف من كلمة (مالك) .

فقراءة حذف الألف موافقة للرسم تحقيقاً، وقراءة الألف موافقة للرسم تقديراً، كما كتب ﴿ **مَالِكَ الْمُلْكِ** ﴾[٢]، فتكون الألف حذفت اختصاراً .

أما الموافقة الصريحة فكثيرة فى القرآن نحو قوله تعالى : ﴿ **وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا** ﴾[٣]، فإنها كتبت فى المصحف دون نقط، وهنا وافقت قراءة (ننشزها) بالزاى، (وننشرها) بالراء[٤] .

---

(١) التوبة (١٠٠) .

(٢) آل عمران (٢٦) .

(٣) البقرة (٢٥٩) .

(٤) راجع : الإتقان ١ / ٢٣١، ومناهل العرفان ١ / ٣٤٨، واللآلئ الحسان فى علوم القرآن، أ.د : موسى شاهين لا شين ص٩٩، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، د.ت .

ثالثها: موافقة العربية ولو بوجه.

ويقصدون به: أن توافق القراءة وجهاً من وجوه قواعد اللغة، سواء أكان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاها الأئمة بالإسناد الصحيح(١)، كقراءة حمزة: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ**﴾ فى مطلع سورة النساء بالجر، عطفاً على الضمير المجرور فى (به).

ومن هنا نظم ابن الجزرى ضوابط القراءة الصحيحة فى هذه الأبيات:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوى

وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه فى السبعة(٢)

المبحث السادس: الأحرف السبعة والقراءات السبع

انتهى البحث بنا إلى أن الأحرف السبعة صفة لازمت القرآن منذ نزوله، وهى عبارة عن الأوجه التى يرجع إليها كل اختلاف فى القراءات، سواء منها ما كان صحيحاً، أو شاذاً، أو منكراً ما لم يخرج القارئ عن المعنى، وأن المصحف الذى بين أيدينا اليوم يشتمل على ما يحتمله رسمه منها مما اتصل سنده برسول الله ﷺ

أما القراءات – جمع قراءة – فتعنى فى الاصطلاح: مذهباً يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره فى النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات عنه(٣).

فالقراءة: اختيار لإمام من أئمة القراءات لطريقة من طرق أداء النص القرآنى،

(١) راجع: الإتقان ١/ ٢٣١.

وانظر: فى ضوابط القراءة الصحيحة – بالإضافة إلى المصادر المذكورة– المرشد الوجيز ص١٢٥، والبرهان للزركشى ١/ ٣٣١، وفتح البارى ١٩/ ٣٩، والمعجزة الكبرى، الشيخ محمد أبو زهرة ص٥٣.

(٢) راجع: طيبة النشر، ابن الجزرى ص ٣، مكتبة القرآن، القاهرة، ط (١) دت.

(٣) راجع: اللآلئ الحسان ص٩٠.

رآها هى الأولى عنده، فالتزمها وأقرأ الناس بها حتى اشتهرت عنه، مع اتفاق الرواة الناقلين عن هذا الإمام عليها.

وعلى هذا تكون القراءات السبع، جزءاً من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، والتى اتصل سندها برسول الله ﷺ، وليست كل قراءة تعادل حرفاً، كما قد يتوهم من ذلك.

والقراء السبعة هم: عبد الله بن عامر اليحصبى، إمام أهل الشام ت (١١٨هـ)[١]، وعبد الله بن كثير، إمام أهل الكوفة، ت (١٢٠هـ)[٢]، وعاصم بن أبى النجود، إمام أهل الكوفة ت (١٢٧هـ)[٣]، وأبو عمرو بن العلاء، إمام أهل البصرة، ت(١٥٤هـ)[٤]، وحمزة بن حبيب الزيات، إمام أهل الكوفة، ت (١٥٦هـ)[٥]، ونافع بن أبى نعيم، إمام أهل المدينة، ت (١٦٩هـ)[٦]، وعلى بن حمزة الكسائى، إمام أهل الكوفة ت (١٨٩هـ)[٧].

وبذا يتأكد لدينا: أن القراءات السبع ليست هى الأحرف السبعة؛ إذ كيف يتصور أن قراءة كل إمام من هؤلاء الأئمة المتأخرين حرف من الحروف السبعة التى قال عنها ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)؟ هذا بالإضافة إلى الأحاديث الأخرى التى أثبتت أن النبى ﷺ أقرأ أصحابه بهذه الأحرف[٨].

---

(١) راجع: الأعلام ٤/ ٩٥.

(٢) راجع: دول الإسلام ١/ ٨٢.

(٣) راجع: معرفة القراء الكبار ١/ ٢٠٤.

(٤) راجع: تهذيب التهذيب ٦/ ٤١٦.

(٥) راجع: تهذيب التهذيب ٢/ ١٩.

(٦) راجع: البداية والنهاية ١٠/ ١٦٨.

(٧) راجع: معرفة القراء الكبار ١/ ٢٩٦.

(٨) راجع: ص (٦٧) – (٧٠).

ومن ناحية أخرى: فإن القول بأن القراءات السبع هى الأحرف السبعة يترتب عليه أن غير هذه السبع من القراءات يعتبر متروكاً، حتى وإن اجتمعت فيه شروط القراءة الصحيحة، ما دام لم يقرأ به أحد من السبعة وهذا لم يقل به أحد من العلماء(١)، بل إن العلماء جنحوا إلى عكس ذلك حين نصوا فى وضوح على أن الأحرف السبعة ليست هى القراءات السبع(٢)، وحين وضعوا ضوابط ثلاثة كى تعد القراءة قرآناً (صحة السند – موافقة الرسم ولو احتمالاً – موافقة العربية ولو بوجه) وحكموا على كل ما لم يجتمع فيه هذه الضوابط الثلاثة بالشذوذ حتى وإن كان فى السبعة – كما تقدم –(٣).

بل إننا نجد العلماء يعتمدون ثلاث قراءات لثلاثة أئمة آخرين من نفس عصر الأئمة السبعة، اشتهروا بالإقراء، وانقطعوا للتعليم والتلقين وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدنى، ت (١٧٠هـ)، ويعقوب بن إسحاق البصرى، ت (٢٠٥هـ)، وخلف بن هشام البغدادى، ت (٢٢٩هـ).

وقد اتفق جمهور العلماء على تواتر القراءات السبع واتصالها إلى رسول الله ﷺ، وعن هؤلاء الأئمة حتى وصلت إلينا، وكذا بالنسبة للقراءات الثلاث المكملة للعشر عند المحققين منهم(٤).

(١) راجع: الإبانة عن معانى القراءات، مكي بن أبى طالب ص٦٦، دار المأمون للتراث، دت، والمرشد الوجيز ص١٢٠.

(٢) ممن نص على هذا: القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ١ / ٦٣، وأبو شامة فى المرشد الوجيز ص١٢٠، ١٢١، وابن تيمية فى مجموع الفتاوى١٣ / ٣٩٠، وابن حجر فى فتح البارى ١٣ / ٢٧.

(٣) راجع: ص (٨٩).

(٤) راجع: البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى ١ / ٤٦٦، والنشر فى القراءات العشر ١ / ٤١، ٤٢، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ابن عبد الشكور ٢ / ١٥، دار صادر، بيروت، ط ١٣٢٢هـ.

وفى منجد المقرئين (ص٢٠٥) يقول ابن الجزرى: (على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة فى غاية السقوط، ولا يصح القول به ممن يعتبر فى الدين... وهى: يعنى القراءات الثلاث، قراءة يعقوب، وخلف، وأبى جعفر ابن القعقاع، لا تخالف رسم المصحف).

حركة انتقاء هذه القراءات وتدوينها :

علمنا مما سبق أن رسول الله ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى، والناس يقرءون القرآن على وجوه متعددة، منها ما نزل من السماء، ومنها ما وسع به الناس على أنفسهم بإذن من رسول الله ﷺ .

وفى الوقت نفسه، كان هناك قوم من الصحابة – بلغوا حد التواتر – عنوا بأخذ القرآن عرضاً على رسول الله ﷺ وآخرون أخذوه عنه ﷺ شفاها بغير عرض(١)، وقد انطلق هؤلاء وهؤلاء فى الأمصار المختلفة يبلغ كل منهم القرآن بالحرف الذى أخذه عن رسول الله ﷺ؛ ومن ثم اختلف أخذ التابعين عنهم، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت فيه قراءة الذين أخذوا عنهم .

وحين جمع عثمان الناس على مصحف واحد، وأرسل منه نسخاً إلى الأمصار المختلفة، أرسل مع كل مصحف قارئاً يوافق قراءته فى الأكثر والأغلب، ولكن هذه القراءة قد تخالف الذائع الشائع فى القطر الآخر عن طريق المبعوث الآخر بالمصحف الآخر(٢)؛ حيث إن المصاحف العثمانية قد اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة – على النحو الذى تقدم تفصيله(٣)– ومن ثم ظلت هناك بعض الاختلافات فى أداء النص القرآنى.

ولم يكن فى مقدور الرسم أن يقضى على هذه الاختلافات أو يفصل فيها، بل ربما كان الاعتماد على المصحف نفسه دون الرجوع إلى قارئ ثقة يؤخذ عنه، مدعاة إلى التصحيف والتحريف؛ لخلوه من النقط والشكل آنذاك.

هذا بالإضافة إلى أنه بوصول المصحف العثمانى إلى الأمصار المختلفة: لم يقض

---

(١) راجع ص (١٣) – (٢١) .

(٢) راجع: مناهل العرفان ١/ ٣٤٤ .

(٣) راجع ص (٨٤) – (٨٧).

نهائياً على القراءات التى اعتاد الناس قراءتها قبل وصول المصحف الإمام إليهم، ولكنها ظلت بين آحاد الناس يتناقلون منها ماوافق الخط العثمانى، ويسقطون ما خالفه؛ لإجماع الأمة عليه، ومن ثم كثرت الروايات عن القراء، وبرزت الحاجة إلى الانتقاء والاختيار، وهنا جاء دور أتباع التابعين، الذين اشتدت عناية قوم منهم بالقراءة والإقراء حتى تجردوا لهذا العمل تماماً، يضبطون القراءات، ويحققون رواياتها، وينتقون منها ما يرونه الأولى والأجدر، حتى صاروا أئمة يرحل إليهم، وبرز منهم قوم انتهت إليهم الإمامة فى الأمصار وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع ت (١٣٢هـ)[١]، ثم شيبة بن نصاح - بكسر النون- ت (١٣٠)، وقيل (١٣٨هـ)[٢]، ثم نافع بن أبى نعيم ت (١٦٩هـ) بالمدينة .

وعبد الله بن كثير ت (١٢٠هـ)، وحميد بن قيس الأعرج ت(١٣٠هـ)[٣]، ومحمد بن محيصن ت (١٢٣هـ)[٤] بمكة.

ويحيى بن وثاب ت (١٠٣هـ)[٥]، وعاصم بن أبى النجود ت (١٢٧هـ)، وسليمان الأعمش ت (١٤٨هـ)[٦]، ثم حمزة الزيات ت(١٥٦هـ)، ثم الكسائى ت (١٨٩هـ) بالكوفة.

وعبد الله بن أبى إسحاق ت (١١٧ هـ)[٧]، وأبو عمرو بن العلاء ت (١٥٤ هـ)، وعاصم الجحدرى ت (١٢٨ هـ)[٨]، ثم يعقوب الحضرمى

(١) راجع: الأعلام ٨/ ١٨٦ .
(٢) راجع: تقريب التهذيب ١/ ٣٥٧ .
(٣) راجع: تقريب التهذيب ١/ ٢٠٣ .
(٤) راجع: دول الإسلام ١/ ٨٤ .
(٥) راجع: الأعلام ٨/ ١٧٦ .
(٦) راجع: معرفة القراء الكبار ١/ ٢١٤ .
(٧) راجع: غاية النهاية فى طبقات القراء، ابن الجزرى ١/ ٤١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٣) ١٩٨٣ .
(٨) راجع: غاية النهاية ١/ ٣٤٩ .

ت (٢٠٥ هـ)[١] بالبصرة .

وعبد الله بن عامر اليحصبى ت (١١٨ هـ)، وإسماعيل بن عبد الله ابن أبى المهاجر ت (١٣٢ هـ)[٢]، ثم يحيى بن الحارث الذمارى ت(١٤٥هـ)[٣]، ثم شريح بن يزيد الحضرى ت (٢٠٣ هـ)[٤]، وهؤلاء هم قراء أهل الأمصار الذين كانوا بعد التابعين[٥].

ثم شرع كل إمام من أهل هذه الطبقة ينتخب قراءة من مجموع ما يرويه عن شيوخه يلتزمها، ويقرئ الناس بها حتى قال نافع بن أبى نعيم:

(قرأت على سبعين من التابعين، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة من هذه الحروف)[٦].

وهذا القول من نافع رضي الله عنه، يبين مدى حرص أئمة الإقراء من التابعين على أن تكون قراءاتهم – بجانب موافقة الرسم – متصلة السند بالرواية الصحيحة إلى رسول الله ﷺ، أو إلى الصحابة الذين تلقوا من رسول الله ﷺ، وعرضوا قراءتهم عليه ﷺ توثيقاً وتحقيقاً لما تلقوه، حيث أخذ نافع رضي الله عنه بما اجتمع عليه اثنان، وترك رواية الآحاد[٧].

وقد اعتبر هذا القول من نافع رضي الله عنه أساساً لظهور مقياس السند – إلى جانب مقياس موافقة الرسم –، وإن كان قد اتسع مفهومه فيما بعد مع اتساع

(١) راجع: تقريب التهذيب ٢ / ٣٧٥ .

(٢) راجع: الأعلام ١ / ٣١٩ .

(٣) راجع: تهذيب التهذيب ٦ / ١٢٤ .

(٤) راجع: تهذيب التهذيب ٢ / ٤٩٤ .

(٥) راجع: مناهل العرفان ١ / ٣٤٦، ورسم المصحف د/ غانم الحمد ص٥٤١، ٥٤٢ واللآلئ الحسان ص٩٣، ٩٤ .

(٦) راجع: الإبانة عن معانى القراءات، مكى بن أبى طالب ص(٤٧).

(٧) راجع: الرد على جولد تسهر ص٨٩، ومن قضايا القرآن ص١٤٨ .

حركة الإقراء فصار يعنى فى بعض مراحله: ما اجتمعت العامة عليه(١).

والعامة عندهم: ما اتفق عليه أهل المدينة والكوفة، وربما جعلوا العامة: أهل الحرمين (مكة والمدينة) أو ثلاثتها(٢).

ثم أضيف إلى هذين المقياسين مقياس ثالث كالبدهى، هو أن يكون للمقروء به وجه فى العربية، وهذا المقياس كالبدهى؛ لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين، فما ليس له وجه فى العربية لا يكون عربياً ولا يكون قرآنا(٣).

ثم سايرت حركة الإقراء هذه حركة التسجيل والاختيار للقراءات؛ صوناً لوجوه الأداء القرآنى من الخلط والتحريف، وقد قام بهذه المهمة أئمة خبراء فى قراءات القرآن وإسنادها، وكان سابقهم إلى هذا العمل: أبو عبيد القاسم بن سلام ت (٢٢٤هـ)(٤)، وتبعه آخرون منهم: القاضى إسماعيل بن إسحاق المالكى - صاحب قالون- ت(٢٨٢هـ)(٥)، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ت (٣١٠هـ)(٦)، وأبو بكر الدجوانى ت (٣٢٥هـ)(٧)، وقد ذكروا جميعاً فى القراءات شيئاً كثيراً، وعرضوا روايات تزيد على أضعاف قراءة السبعة المشهورين(٨)، وذلك بعد دراسة منهم لقراءات قراء التابعين وتابعيهم فى إطار الضوابط الثلاثة (صحة السند - موافقة الرسم - موافقة العربية ولو بوجه).

ثم شرع كل واحد من هؤلاء الأئمة يزكى قراءات أئمة من قراء التابعين

(١) راجع: من قضايا أ. د: إسماعيل الطحان القرآن ص١٤٨، مكتبة الأقصى، قطر، ط(٢) ١٩٩٤ .

(٢) راجع: الإبانة عن معانى القراءات ص٥١، ومن قضايا القرآن ص١٤٨ .

(٣) راجع: وثاقة نقل النص القرآنى ص٢٣٦ .

(٤) راجع: البداية والنهاية ١٠/ ٣١٦ .

(٥) راجع: معرفة القراء الكبار ١/ ٤٤٧ .

(٦) راجع: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٥ .

(٧) راجع: غاية النهاية ٢/ ٧٧ .

(٨) راجع: النشر ١/ ٣٣، ومن قضايا القرآن ص١٥٥ .

وتابعيهم – بناء على الضوابط المذكورة – ويعرض عمن سواهم(١).

وقد ظلت سلسلة تزكية القراءات من خلال جهابذة فى القراءات حتى جاء الإمام أبو بكر بن مجاهد، ت (٣٢٤)، فألف كتابه (السبعة)، استصفى فيه من كل ذلك قراءات الأئمة السبعة الذين اشتهروا بالقراءة والإقراء على رأس المائتين فى الأمصار الإسلامية، فكان الناس بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبالمدينة على قراءة نافع، وبمكة على قراءة ابن كثير .

جاء ابن مجاهد فجمع قراءات هؤلاء السبعة فى مصنفه، غير أنه أثبت اسم الكسائى، وحذف يعقوب(٢).

وبتصنيف ابن مجاهد لكتابه هذا، حدث ذلك اللبس والخلط الكبير بين القراءات السبع – التى هى اختيارات بن مجاهد للطريقة التى اتبعها أولائك الأئمة السبعة المشهورون فى القراءة والإقراء – وبين الأحرف السبعة التى تقدم تفصيل بشأنها .

ولذا انتقد بعض العلماء صنيع ابن مجاهد بوقوفه عند سبع قراءات؛ مما أحدث إشكالاً لدى العامة، حين خلطوا بين القراءات السبع والأحرف السبعة، على حين انبرى علماء آخرون للدفاع عن ابن مجاهد مستحسنين صنيعه، واختياره لهذه السبع(٣).

ويكفى للدفاع عن ابن مجاهد أن نذكر أن عشرات المؤلفات فى اختيار القراءات لم تخرج عن اختياراته، فالذين اختاروا سبع قراءات اختاروا السبع

---

(١) راجع: الرد على جولد تسهر ص٨٩، وانظر: الإبانة ص٥٠، ورسم المصحف ص٥٣٣ .

(٢) راجع: مناهل العرفان ١ / ٣٤٦، واللآلئ الحسان ص٩٥، والرد على جولد تسهر ص٩٠ .

(٣) راجع: المرشد الوجيز ص١١٧، ١٢٣، وفتح البارى ١٩ / ٣٨، والرد على جولد تسهر ص٩٠، ٩١ .

الأولين، والذين اختاروا عشراً ضموا إليهم أبا جعفر ويعقوب وخلف، والذين ألفوا فى الأربع عشرة ضموا إليهم: الحسن البصرى ت (١١٠هـ)، وابن محيصن ت (١٢٣هـ)، والأعمش ت(١٤٨هـ)، واليزيدى ت(٢٠٢هـ)[١].

وقد عُدّت قراءات هؤلاء الأربعة شاذة على خلاف القراءات العشر التى تلقتها الأمة بالقبول .

هذا وقد ذكر الطبرسى أن اجتماع الناس على قراءة الأئمة المشهورين يرجع لسببين:

الأول: أن هؤلاء الأئمة تجردوا لقراءة القرآن، واشتدت بذلك عنايتهم، مع كثرة علمهم، ومن كان قبلهم أو فى أزمنتهم ممن نسب إليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم فى الشواذ، لم يتجرد لذلك تجردهم، وكان الغالب على أولائك الفقه والحديث، أو غير ذلك من العلوم .

الثانى: أن قراءة هؤلاء الأئمة وجدت مسندة لفظاً، أو سماعاً حرفاً حرفاً، من أول القرآن إلى آخره، مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن[٢].

ثم إنه لم يخل عصر من العصور بعد هؤلاء الأئمة الأثبات إلا وقد توافر فيه الجمع الغفير من الناس الذين حذقوا روايات هؤلاء الأئمة، ونقلوها عنهم متصلة مسندة، ولا يزال الحال هكذا وإلى يومنا هذا .

وهكذا بقيت القراءات المتواترة عن رسول الله ﷺ، محفوظة بأسانيدها، متسلسلة من عصر إلى عصر حتى وصلت إلينا، بفضل جهوده ﷺ وصحابته، والتابعين وتابعيهم، وعلماء أخلصوا لله ولكتابه وجهتهم؛ مما يجعلنا نجزم بأن

(١) راجع: المصدر السابق ص٧٢، ٧٣، وانظر أسماء هذه المصنفات ومن تنسب إليه فى النشر ١/ ٦٩- ٨٢ . وانظر فى ترجمة اليزيدى: الأعلام ٨/ ١٦٣ .

(٢) راجع: مجمع البيان، الطبرسى ١/ ١٢، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، دت .

النص القرآنى الذى بين أيدينا الآن هو هو كما أنزل من السماء، لتتهافت بذلك مزاعم المشككين فى وثاقة نقله، وألوهية مصدره، ويكفى أن الله تكفل بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١).

* * *

الخاتمة

بعد هذه الدراسة الموثقة فى تاريخ النص القرآنى، توصل البحث إلى النتائج التالية :

١- تواتر انتقال النص القرآنى من رسول الله ﷺ إلى أمته بطريقة العرض المباشر، وشفاها بغير عرض طبقة عن طبقة، وجيلاً عن جيل، بما تحيل العادة تواطؤ هذا الجمع فى كل طبقة على الكذب .

٢- تواتر انتقال النص القرآنى تدويناً عن رسول الله ﷺ، مرتب الآيات والسور بتوقيف منه ﷺ.

٣- أن الغرض من الجمع البكرى للمصحف كان يتمثل فى جمع الصحائف المتفرقة من القرآن، التى كتبت بين يدى رسول الله ﷺ، فى مصحف واحد خشية ضياع القرآن باستشهاد الحفظة؛ فهذا الجمع لم يكن كتابة مبتدأة للقرآن، وقد تم وفق منهج دقيق وخطوات حاسمة، بمشاركة مشيخة الصحابة، فكان المكتوب متواتراً بالكتابة، والحفظ فى الصدور، وفق العرضة الأخيرة، وبذا حوى جميع ضمانات الوثوق المطلق، وحظى بإجماع الصحابة دون نكير.

٤- أن الجمع العثمانى للمصحف لم يكن مجرد استنساخ من مصحف أبى بكر، ولكنه كان جمعاً ثانياً، اتبعت فيه الخطوات نفسها التى اتبعت فى الجمع البكرى، وكان الغرض منه: جمع الناس على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى

ﷺ، وفقاً للعرضة الأخيرة، وإلغاء ما ليس كذلك؛ كى يقضى عثمان رضي الله عنه على الفتنة التى ظهرت بوادرها آنذاك، وقد ضم هذا الجمع لجنة من أهل الخبرة بالوحي وكتابته، والحفظة المتقنين، وأهل الضبط والفصاحة؛ حتى يسير منهج الاستيثاق للنص القرآني إلى أقصى مداه .

وبعد أن أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على هذا المصحف، تم بأمر عثمان رضي الله عنه، إرسال نسخ منه إلى الأمصار، وإحراق ما سواه من المصاحف، ووافقه الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك .

٥- أثبت البحث أن لفظ الحرف الوارد فى الحديث (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) له إطلاقات عديدة فى اللغة، يحتملها الحديث كما يتضح من رواياته المتعددة، وقد ساق البحث عدداً منها .

٦- هناك اتجاهات عديدة بين الأقدمين فى تحديد المراد من الأحرف السبعة، وقد أثبت البحث أن التيسير الذى جاءت به هذه الأحرف كان فى الألفاظ لا فى المعانى، وهذا التيسير قد يكون لهجياً، أو فى الكلمة، أو فى جزء منها، أو فى حركة الإعراب، أو فى التقديم والتأخير . . .

٧- أثبت البحث أن الأحرف السبعة عزيمة وليست رخصة، فقد شرعت بنزول القرآن، وأن النبى ﷺ بمقتضى التيسير الذى جاءت به هذه الأحرف- كان ييسر على من يتلقون القرآن من أصحاب الأعذار بأن يقرءوا القرآن حسب ما يستطيعون، ما لم يخرجوا باللفظة القرآنية عن معناها، ولكنه ﷺ كان يحرص على تبليغ النص القرآنى كما نزل به جبريل من السماء فى صلواته ومجالسه المختلفة، كما كان يحرص ﷺ على تدوينه كما أنزل عليه أولاً بأول؛ حفظاً له من أى خلط أو تحريف .

٨- أن المصحف الذى بين أيدينا اليوم لا يحتوى على شىء من الأحرف التى

لم يتصل سندها برسول الله ﷺ؛ لأن هذه لم تسجل بين يديه ﷺ، ولا فى الجمعين البكرى والعثمانى؛ ومن ثم لم تعتمدها الأمة، ولم تعدها قرآناً.

أما الأحرف السبعة المتصلة السند برسول الله ﷺ، فقد اشتمل المصحف على ما يحتمله رسمه منها، وعلى هذا فإن المصحف الذى بين أيدينا اليوم لا يتضمن كل القراءات الصحيحة النسبة إلى رسول الله ﷺ، وقد فصل البحث أسباب ذلك.

٩– أن الأحرف السبعة ليست هى القراءات السبع، فالأحرف السبعة هى: (الأوجه التى يرجع إليها كل اختلاف فى القراءات، سواء منها ما كان صحيحاً أو شاذاً، أو منكراً، مالم يخرج القارئ عن المعنى) .

أما القراءات السبع فهى فى مجموعها: (اختيار كل إمام من أئمة الإقراء السبعة المشهورين، لطريقة من طرق أداء النص القرآنى، رآها هى الأولى عنده، فالتزمها، وأقرأ الناس بها حتى اشتهرت عنه)؛ وعلى هذا تكون القراءات السبع، جزءاً من الأحرف السبعة، وليست كل قراءة تعادل حرفاً، كما قد يتوهم من ذلك .

١٠– أن هناك أركاناً ثلاثة للقراءة الصحيحة (اتصال السند برسول الله ﷺ، موافقة الرسم العثمانى ولو احتمالاً، موافقة العربية ولو بوجه) وما عدا ذلك فهو شاذ وإن كان فى السبعة، كما قضى العلماء.

١١– أن هناك قوماً من أتباع التابعين اشتدت عنايتهم بالقراءة والإقراء، حتى تجردوا لهذا العمل تماماً، يضبطون القراءات، ويحققون رواياتها، وينتقون منها ما يرونه الأولى والأجدر، وقد برز منهم قوم انتهت إليهم الإمامة فى الأمصار، حتى جاء ابن مجاهد فاستصفى منهم قراءات الأئمة السبعة المشهورين الذين اشتهروا بالقراءة والإقراء على رأس المائتين فى الأمصار الإسلامية، ولم تخرج الكتب التى ألفت بعده عن اختياراته رحمه الله، على الرغم مما وجه إليه من انتقاد بتسبيعه

السبع؛ نظراً لما حدث من لبس لدى الناس بينها وبين الأحرف السبعة .

١٢- انتهى البحث من هذه النتائج كلها إلى نتيجة أساسية، وهى أن النص القرآنى الذى بين أيدينا اليوم هو هو كما أنزل من السماء؛ لتتهافت بذلك مزاعم المشككين فى وثاقة نقله وألوهية مصدره .

* * *

فهرس المصادر

- الإبانة عن معانى القرآن، أبو محمد مكي بن أبى طالب، تحقيق: د/ محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، ودار الغوثانى للدراسات الإسلامية، دت.
- الإبهاج بشرح المنهاج، تاج الدين السبكى، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبى، ط (١) ٢٠٠٤م .
- الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى، دار الحديث، القاهرة، ط٢٠٠٤
- الاستذكار، ابن عبد البر، دار الوغى، حلب، ط (١) ١٩٩٣م .
- الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر، دار صادر، بيروت، ط(١) ١٣٢٨هـ.
- أصول الفقه، الشيخ: محمد زهير، دارالطباعة المحمدية، القاهرة، دت.
- الأعلام، خير الدين الزركلى، دار العلم للملايين، بيروت، ط (٦) ١٩٨٤
- إرشاد الفحول، الشوكانى، تحقيق أد: شعبان إسماعيل، دار الكتبى، القاهرة، دت .
- الإقناع فى القراءات السبع، أبو جعفر الأنصارى، تحقيق: أد/ عبد المجيد قطامش، دار الفكر، دمشق، ط (١) ١٤٠٣هـ.
- الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلانى، تحقيق أ: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) ٢٠٠٤ م.

– البحر المحيط فى أصول الفقه، بدر الدين الزركشى، راجعه: أد: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط (٢) ١٩٩٢م .

– البداية والنهاية، ابن كثير، دار الحديث، القاهرة ط (١) ١٩٩٢م .

– البرهان فى علوم القرآن، بدر الدين الزركشى، تحقيق: أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، دت .

– تاريخ آداب العرب، أ: مصطفى صادق الرافعى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط (٤) ١٩٧٤م .

– تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى، دار الكتب العلمية، بيروت، دت .

– تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجانى، تحقيق: أ: طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة الحلبى، القاهرة، دت .

– تاريخ القرآن، أد. عبد الصبور شاهين، دار نهضة مصر، القاهرة، ط (٢) ٢٠٠٦م .

– تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، بيروت، ط (١) ٢٠٠٤ .

– تاريخ القرآن وغرائب رسمه، محمد طاهر الكردى، مكتبة المعارف، الطائف، دت .

– تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار التراث، القاهرة، ط (٢) ١٩٧٣م .

– تحفة الأحوذى، المباركفورى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م .

– تذكير الناس بما يحتاجون إليه من القياس، أ د: محمد الحفناوى، دار الحديث، القاهرة ط (١) ١٩٩٥م.

– تقريب التهذيب، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، دت .

– تقريب النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، دار الحديث، القاهرة، ط (٢) ١٩٩٢م .

- تهذيب الأسماء واللغات، النووى، دار الكتب العلمية، بيروت، دت .
- تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط(٢) ١٩٩٣م.
- جامع البيان، الطبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٩٢م .
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، تحقيق أد: محمد إبراهيم الحفناوى، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٤م .
- جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوى، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط (١) ١٩٨٧م .
- جهود الصحابي الجليل سيدنا زيد بن ثابت فى جمع القرآن الكريم، د: مصطفى عفيفى، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، فرع طنطا.
- الخلفاء الراشدون، أد: عبد الوهاب النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- دراسات حول القرآن الكريم، أد: إسماعيل الطحان، مكتبة الأقصى، قطر، ط (٢) ١٩٩٤ .
- الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد، سيف الدين الهروى المعروف بابن الحفيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م .
- دول الإسلام، شمس الدين الذهبى، الدوحة- قطر- ط١٩٨٨م .
- الرد على جولد تسهر فى مطاعنه على القراءات القرآنية، أد: محمد حسن جبل، ط(٢) ٢٠٠٣، دن .
- رسم المصحف، أد: غانم الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن - ط (١) ٢٠٠٤ .
- سنن ابن ماجة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م .

– سنن أبى داود، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩م .

– سنن الترمذى، مصطفى الحلبى، القاهرة، ط (٢) ١٩٧٨م .

– السيرة النبوية، ابن هشام، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٦م .

– شرح السنة، أبو محمد بن مسعود البغوى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دت، دن .

– شرح العضد على مختصر ابن الحاجب، عضد الملة والدين، مراجعة أد: شعبان إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٣ .

-شرح النووى على مسلم، الإمام النووى، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٤م.

– الصحاح، الجوهرى، ط ١٩٨٢م دن .

– صحيح البخارى، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ٢٠٠٠م .

– صحيح مسلم، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٧م.

– الطبقات الكبرى، ابن سعد، الناشر: حمزة النشرتى، دت .

– طيبة النشر، محمد بن الجزرى، مكتبة القرآن، القاهرة، ط (١) دت .

– غاية النهاية فى طبقات القراء، ابن الجزرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٣) ١٩٨٢م .

– فتح البارى بشرح صحيح البخارى، ابن حجر العسقلانى، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٨ .

– فتح البيان فى مقاصد القرآن، القنوجى البخارى، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٩٩٢م .

– الفريد فى إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذانى، دار الثقافة، قطر، ط (١) ١٩٩١ .

– فضائل القرآن، الحافظ ابن كثير، مكتبة الصحابة، طنطا، دت .

– فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: وهبى سليمان، دار الكتب العلمية بيروت، ط (١) ٢٠٠٥، وط. المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦ .

-الفكر السامي فى تاريخ الفقه الإسلامى، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبى، دار الكتب العلمية، ط (١)١٩٩٥ .

– فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ابن عبد الشكور، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٣٢٢هـ .

– القراءات أحكامها ومصادرها، أد: شعبان إسماعيل، دار السلام، القاهرة، ط ١٩٨٦ .

– القراءات الشاذة وضوابط الاحتجاج بها فى الفقه والعربية، د: عبدالعلى المسئول، دار ابن القيم، الرياض، ط (١)٢٠٠٨ .

– كتاب المصاحف، ابن أبى داود السجستانى، قطر، ط (١) ١٩٩٥م.

– اللآلئ الحسان فى علوم القرآن، أد: موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة، دت .

– لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ٢٠٠٣ .

– مجمع البيان، الطبرسى، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة، دت.

– مجمع الزوائد، الهيثمى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ٢٠٠١م.

– مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المملكة العربية السعودية، دت .

– المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات، أبو الفتح ابن جنى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط ١٩٩٤م .

– المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسى، قطر، ط (١) ١٩٧٧م .

– المدخل لدراسة القرآن الكريم، الشيخ: محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط(٢) ٢٠٠٣ .

– مذاهب التفسير الإسلامى، جولد تسهر، تعليق: د: عبد الحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، ط (٥) ١٩٩٢م.

– المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ٢٠٠٣م .

– المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م .

– المستصفى، أبو حامد الغزالى، دار صادر، بيروت، ط (١) ١٣٢٢هـ.

– المسند، الإمام أحمد، دار الحديث، القاهرة، ط (١) ١٩٩٥م .

– المصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر، الإمام المبارك بن الحسن، دار الحديث، القاهرة، ط ٢٠٠٧ .

– المصنف، ابن أبى شيبة، دار قرطبة، بيروت، ط (١)٢٠٠٦م.

– المعجزة الكبرى – القرآن– الشيخ: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى، القاهرة، دت .

– معجم البلدان، ياقوت الحموى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٩٠م.

– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبى، تحقيق: د/ طيار آلتى قولاج، استانبول، ط (١) ١٩٩٥م.

– مفاتيح الغيب، فخر الدي الرازى، دار الفكر، بيروت، ط(٣) ١٩٨٥م.

– مناهل العرفان، الشيخ عبد العظيم الزرقانى، دار الحديث، القاهرة، ط٢٠٠١م .

– منجد المقرئيين، ابن الجزرى، تحقيق أد/ عبد الحى الفرماوى، ط (١) ١٩٧٧، دن .

- منهج عمر بن الخطاب فى التشريع، أد/ محمد بلتاجى، دار السلام، القاهرة ط (١) ٢٠٠٢م .
- من قضايا القرآن، أد: إسماعيل الطحان، مكتبة الأقصى- قطر، ط(٢) ١٩٩٤م.
- النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٣) ٢٠٠٦ .
- النهاية فى غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى الحلبى، القاهرة، دت .
- وثاقة نقل النص القرآنى من رسول الله إلى أمته، أد: محمد حسن جبل، دار الصحابة، طنطا، دت .

* * *